فضل المدينة المنورة

الشيخ ندا أبو أحمد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الكتاب الجامع للفضائل

(٣٥)

فضل المدينة المنورة

للشيخ/ندا أبو أحمد

فضل المدينة المنورة

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله -تعالى-، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

فضل المدينة المنورة

٢- جعل النبي ﷺ المدينة حرمًا آمنا كما جعل إبراهيم ﷺ مكة حرمًا آمنا:

٢- حرم النبي ﷺ أن يقتل صيد المدينة أو يقطع شجرها:

٣- دعا لها النبي ﷺ ولأهلها بالبركة:

٤- ومن فضل المدينة أن الله ﷻ سماها "طيبة" و "طابة":

٥- المدينة تنفي الذنوب:

٦- المدينة طيبة تنفي شرارها فلا يبقي فيها إلا الطيب:

٧- المدينة خالية من الوباء والأمراض:

٨- المدينة يستشفي بتربتها وتمرها:

٩- المدينة مصونة محروسة فلا يدخلها الطاعون أو الدجال:

١٠- من عاش بالمدينة وصبر على جهد العيش فيها شفع له النبي ﷺ:

١١- النبي ﷺ يرغب في سكن المدينة والصبر على لأوائها:

١٢- ولفضل وحرمة المدينة توعد النبي ﷺ كل من أحدث فيها أو آوي محدثا بوعيد شديد:

١٣- من أراد أهل المدينة بسوء أهلكه الله وأذابه كما يذوب الملح في الماء:

١٤- من أخاف أهل المدينة أخافه اللهﷻ:

١٥- المدينة منارة العلم:

١٦- المدينة في آخر الزمان مقصد ومأوي أهل الإيمان:

١٧- النبي ﷺ يشفع لمن يموت بالمدينة:

١٨- النبي ﷺ يحب المدينة حبًا شديدًا:

١٩-النبي ﷺ يحب أهل المدينة ويثني عليهم:

٢٠- جعل الله قلوب العباد تهوي إلى المدينة ببركة دعوة النبي ﷺ:

٢١- المدينة مهجر النبي ﷺ وفيها عاش حتى لقي اللهﷻ:

٢٢- في المدينة دفن النبي ﷺ:

فوائد وتنبيهات عند زيارة قبر النبي ﷺ

بعض الأماكن والمعالم التي في المدينة وبيان فضلها

أولًا: مسجد النبي ﷺ:

ثانيًا: مسجد قباء:

ثالثًا: جبل أحد:

رابعًا: البقيع:

رابعًا: جبل عَيْنَيْن، أو جبل الرماة:

خامسًا: مقبرة شهداء أحد:

سادسًا: عَيْر وثور:

سابعًا: جبل سلع:

ثامنًا وادي العقيق:

كلمة إلى ساكني المدينة المنورة حفظها الله من كل سوء:

فضل المدينة المنورة

المدينةُ المنورةُ هي مهبطُ الوحي ومتنزل جبريل الأمين على الرسول الكريم ﷺ، وهي مأرز الإيمان، وملتقي المهاجرين والأنصار، وموطن الذين تبوؤوا الدار والإيمان، وهي العاصمة الأولي للمسلمين، فيها عُقدتْ ألويةُ الجهاد في سبيل الله، فانطلقت كتائب الحق لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومنها شعَّ النور، فأشرقت الأرض بنور الهداية، وهي دارُ هجرة المصطفي ﷺ إليها هاجر، وفيها عاش آخر حياته ﷺ، وبها مات وفيها قبر، ومنها يُبعث إن شاء الله. (فضل المدينة للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد صـ ٣-٤)

المدينة المنورة على صاحبها أفضل السلام وأتم التسليم شرفها الله وفضلها، وجعلها خيرَ البقاع بعدَ مكةَ، جعلها الله حرمًا آمنًا، وحذر النبي ﷺ من قتل صيدها أو قطع شجرها ودعا لها ولأهلها بالبركة، وسماها رب العالمين طابة أي من الطيب " فلا يسكنها إلا الأطهارُ الأخيار؛ لأنها تنفي شرارها، محروسةٌ مصونةٌ لا يدخلها الطاعونُ أو الدجالُ، من عاش فيها وصبر على جهد العيش فيها شفع له النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يرغب في سُكنها والصبر على لأوائِها، فيها جبل أُحُد وهو جبل يحبه النبي ﷺ، وفيها مسجد الحبيب النبي ﷺ، الصلاة فيه بألف صلاة فيما سواه وما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة، وفيها مسجد قباء الصلاة فيه كعمرة، ولفضلها وشرفها توعد النبي ﷺ كل من أحدث فيها بوعيد شديد، ومن أرادها بسوء أذابه الله كما يذوب الملحُ في الماء، هي مأوي الإيمان في آخر الزمان، من مات فيها شفع له النبي ﷺ، وغير ذلك من الفضائل والتي وردت في هذه الرسالة، أسأل الله- تعالى- القبولَ والإخلاصَ في القول والعمل والسر والعلن. وهذا آوان الشروع للدخول في الموضوع وبيان فضل المدينة:

١- جعل النبي ﷺ المدينة حرمًا آمنا كما جعل إبراهيم ﷺ مكة حرمًا آمنا:

وحرمُ المدينة هوما بين الحرمين شرقًا وغربًا، وما بين عير إلى ثور يمنًا وشامًا.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث علي ﷺ أن النبي ﷺ قال: **المدينة حرامٌ ما بين عَيْرٍ إلى ثَوْرٍ ".**

- **والنبي ﷺ جعل المدينة حرام كما جعل إبراهيم ﷺ مكة حرام "**

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

" إنَّ إبراهيم حرَّم مكة ودعا لأهلها[١]، وإني حرَّمت المدينةَ كما حرم إبراهيم مكة، وإني دعوت في صَاعِهَا ومدها[٢]، بمثلي ما دعا به إبراهيم لأهل مكة ". *ولفظ البخاري:*" مثل ما دعا إبراهيم لمكة ".

- وأخرج الإمام مسلم من حديث رافع بن خديج ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" إنَّ إبراهيم حرَّم مكةَ وإني أحرم ما بين لابتيها[٣] " يريدُ المدينة.

١- وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم دعاء إبراهيم لمكة، فقال تعالى " وَإِذْ قَالَ إبراهيم رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ " (البقرة: ١٢٦)

وقال تعالى " رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ " (إبراهيم:٣٧)

٢ - وفي صاعها ومدها: أي فيما يكال بهما، فهو من باب ذكر المحل وإرادة الحال، لأن الدعاء إنما هو للبركة في الطعام المكيل، لا في المكاييل، والمعني أنه ﷺ دعا لهم بالبركة في أقواتهم جميعًا.

٣ -لابتيها: اللابة هي الحرَّة، والمدينة المنورة بين حرَّتين شرقية وغربية تكتنفانها، والحرَّة: هي الأرض ذات الحجارة السود (قاله الأصمعي). ومعني ذلك اللابتان وما بينهما، والمراد تحريم المدينة ولابتيها: أي طرفاها.

- ***وأخرج الإمام مسلم من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:***

"إن إبراهيم حرم بيت الله وأمنه، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها، لا يقطع عضاهها[1]، ولا يصاد صيدها

- ***وفي رواية عند مسلم عن نافع بن جُبير:*** **أن مروان بن الحكم خطب الناس، فذكر مكة وأهلها وحرمتها، ولم يذكر المدينة وأهلها وحُرمتها، فناداه رافع بن خديج فقال: مالي أسمعُك ذكرت مكة وأهلها وحرمتها، ولم تذكر المدينة وأهلها وحرمتها، وقد حرم رسول الله ﷺ ما بين لابتيها، وذلك عندنا في أَدِيمِ خَوْلَانِيٍّ[2] إن شئت أقْرَأْتُكَهُ، قال: فسكت مَرْوانُ ثم قال: قد سمعتُ بعض ذلك .**

- ***وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ لأبي طلحة:***

" التمس غلاما من غلمانكم يخدمُني حتى أخرج إلى خيبر"، فخرج بي أبو طلحة مردفي وأنا غلام راهقت الحلم، فكنت أخدم رسول الله ﷺ إذا نزل، فكنت أسمعه كثيرا يقول: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال، ثم قدمنا خيبر، فلما فتح الله عليه الحصن ذُكِرَ له جمالُ صفية بنت حُيِيِّ بن أخطب وقد قُتل زوجها وكانت عروسا فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه، فخرج بها حتى بلغنا سد الصهباءِ حلت فبنى بها، ثم صنع حيسا في نطع صغير ثم قال رسول الله ﷺ آذن من حولك، فكانت تلك وليمة رسول الله ﷺ على صفية، ثم خرجنا إلى المدينة، قال: فرأيت رسول الله ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته فتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب، فسرنا حتى إذا أشرفنا على المدينة نظر إلى أُحُد فقال: هذا جبل يحبنا ونحبه، ثم نظر إلى المدينة فقال اللهم إني أحرم ما بين لابتيها بمثل ما حرم إبراهيمُ مكةَ، اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم ".

وفي الصحيحين عن عاصم بن سليمان الأحولُ قال: **سألت أنسًا: أَحَرم رسول الله ﷺ المدينة؟ قال: نعم هي حرامٌ، لا يُخْتَلي خلاها، فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين".**

- ***وأخرج البخاري ومسلم حديث أبي هريرة ﷺ أنه كان يقول:*** **لو رأيت الظِّباء ترتع بالمدينة ما ذَعَرْتُها[3]، قال رسول الله ﷺ: " ما بين لابَتَيْهَا حرامٌ ". *وفي رواية لمسلم:*** **حرم رسول الله ﷺ ما بين لابتي المدينة، قال أبو هريرة ﷺ: فلو وجدت الظباء ما بين لابتيها ما ذعرتُها وجعل أثنيْ عشرَ ميلًا حول المدينة حِمًى.**

- ***وأخرج الإمام مسلم من حديث سهل بن حنيف ﷺ قال:*** **أهوي رسول الله ﷺ بيده إلى المدينة[4] فقال: " إنها حَرَمٌ آمنٌ".**

- ***وفي رواية عند الطبراني عن يسير قال:*** **سألت سهل بن حنيف قلت: أسمعتَ رسول الله ﷺ يقول في المدينة شيئًا؟ قال: سمعته يقول: " إنها حرامٌ آمنٌ، إنها حرامٌ آمنٌ ".**

---

١ ـ العضاة: بكسر العين المهملة، وبالضاد المعجمة، وبعد الألف هاء، جمع عضاهة: وهي شجرة الخمط، وقيل: بل كل شجرة ذات شوك، وقيل ما عظم منها.

٢ ـ وذلك عندنا في أديم خولاني: هذا قول رافع بن خديج، وهو صحابي أنصاري شهد أحدًا وما بعدها، ويريد رافع أن حديث تحريم المدينة محفوظ عندنا بالكتابة في جلد مدبوغ منسوب إلى خولان وهي كما في معجم البلدان كورة من كور اليمن، وقرية كانت بقرب دمشق خربت، بها قبر أبي مسلم الخولاني، ولعل أديم تلك النواحي في تلك الزمان كان من أنعم الجلود التي يكتبون فيها.

٣ ـ لو رأيت الظباء ترتع بالمدينة ما ذعرتها: معني ترتع: ترعي، وقيل: تسعي وتنبسط ومعني ذعرتها أزعجتها، وقيل نفرتها، وكني بذلك عن عدم صيدها.

٤ ـ أهوي بيده إلى المدينة رأي أو مأ بها إليها.

تنبيهات[1]:

أ – المقصود من تحريم مكة أو المدينة المضاف إلى النبي وإبراهيم –عليهما الصلاة والسلام– هو إظهار التحريم، وإلا فإن التحريم من الله – تعالى– وهو سبحانه الذي جعل هذا حرما، وهذا حرما.

ب – اختص الله ﷻ هاتين البلدتين (مكة والمدينة) بهذه الصفة– التي هي الحرمة – دون سائر البلاد، ولم يأت دليل ثابت يدل على تحريم شيء غير مكة والمدينة، وما شاع على ألسنة كثير من الناس من أن المسجد الأقصى ثالث الحرمين هو من الخطأ الشائع، لأنه ليس هناك للحرمين ثالث.

جـ – المقصود بالحَرَم في مكة والمدينة: ما تحيط به الحدود لكل منهما، هذا هو الحرم، وما شاع من إطلاق الحرم على المسجد النبوي فقط فهو من الخطأ الشائع، لأنه ليس هو الحرمُ وحده، بل المدينة كلها حرمٌ ما بين عَيْر إلى ثورٍ، وما بين لابَتَيْها، ***وقد قال النبي*** ﷺ " **المدينة حَرَمٌ ما بين عَيْر إلى ثورٍ**". (رواه البخاري ومسلم)

وقال ﷺ: " **إني حرمت ما بين لابَتَيِ المدينة أن يُقطَعَ عِضَاهُا، أو يُقتل صَيدُها** ". (رواه مسلم)

ومن المعلوم أن المدينة قد اتسعت في هذا الزمان حتى خرج جزءٌ منها عن الحرم، ولهذا لا يُقال: إن كل المباني الموجودة في المدينة من الحرم، ولكن ما كان داخل حدود الحرم منها فهو حرمٌ، وما كان خارج حدود الحرم فإنه يطلق عليه أنه من المدينة ولكن لا يُقال: إنه من الحرم.

وقد جاء عن النبي ﷺ في بيان حدود حرم المدينة أن الحرم؛ ما بين اللابَتَيْنِ، أو ما بين الحرَّتَيْنِ، أو ما بين الجبلين، أو ما بين عير إلى ثور، ولا تنافي ولا اضطراب بين هذه الألفاظ، فإن الأصغر داخلٌ في الأكبر، فما بين اللابتين حرمٌ، وما بين الحرمين حرم، وما بين عَيْر إلى ثور حرمٌ ". أهـ

٢- *حرم النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يقتل صيد المدينة أو يقطع شجرها:*

– مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث جابر ﷺ ***قال: قال رسول الله*** ﷺ:

"**إن إبراهيم حَرَّمَ بيت الله وأمنه، وإني حرمتُ المدينة ما بين لابَتَيْها، لا يُقطعُ عِضَاهُهَا، ولا يُصَادُ صَيْدُهَا** ".

– وأخرج الإمام مسلم من حديث سعد قال: قال رسول الله ﷺ:

" **إني أحرم ما بين لابتي المدينة، أن يقطع عضاهها أو يقتل صيدها ..... ".** ***الحديث***

قال الدهلوي–رحمه الله–: " السر في حرمة مكة والمدينة: أن لكل شيء تعظيما، وتعظيم البقاع ألا يتعرض لما فيها، وأصله مأخوذ من حمي الملوك وحرمة بلادهم، فإن انقياد القوم لهم وتعظيمهم إياه يقتضي أن لا يتعرضوا لما فيها من الشجر والدواب "ـ

وأخرج أبو داود من حديث علي ﷺ ***عن النبي*** ﷺ ***قال:*** " **المدينة حرامٌ، ما بين عَيْرٍ إلى ثَوْرٍ، لا يُختَلى خلاها**[2]**، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها إلا لمنْ أشاد بها**[3]**، ولا يصحّ لرجلٍ أن يحمل فيها السلاح لقتال، ولا يصلح أن يقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيره** ". (صحيح الجامع: ٦٦٨٤) (الإرواء: ١٠٥٨)

---

١ ـ أفادها الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر حفظه الله في كتابه فضائل المدينة ص٦-٩

٢ ـ أي المدنية

٣ ـ يعرفها تعريفًا مستمرًا

وأخرج الإمام مسلم من حديث عامر بن سعد **أنَّ سعدًا بن أبي وقاص ﷺ ركب إلى قصره بالعقيق، فوجد عبدًا يقطع شجرًا أو يَخْبِطُهُ[1] فَسَلَبَهُ[2]، فلما رجع سعدُ جاءه أهل العبد فكلموه أن يرد على غلامهم، أو عليهم، ما أخذ من غلامهم، فقال: مَعَاذَ الله أن أرد شيئا نَفَّلَنِيه[3] رسول الله ﷺ وأَبَى أن يَرُدَّ عليهم ".**

تنبيه: المراد بالشجر الذي يُحرم قطعه هو الذي أنبته الله ﷻ، أما ما زرعه الناس وغرسوه فلهم أن يقطعوه.

٣- دعا النبي-صلى الله عليه وسلم- للمدينة وأهلها بالبركة:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أنه قَالَ: **كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاءُوا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ :" اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ إِنَّ إبراهيم عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ، بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ بِهِ لِمَكَّةَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ "، قَالَ: ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ يَرَاهُ، فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرَ".**

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن زيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

" إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإني دعوت في صاعها ومدها[4]، بمثلي ما دعا به إبراهيم لأهل مكة ".

وعند الترمذي والطبراني من حديث عليٍّ ﷺ قال: **خرجْنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا عند السُّقْيَا التي كانت لسعد، قال رسول الله ﷺ:" اللهمَّ إن إبراهيمَ عبدُك وخليلك، دعاك لأهل مكة بالبركة، وأنا محمدٌ عبدُك ورسولك، أدعوك لأهل المدينة، أن تباركَ لهم في مُدِّهم وصَاعِهم مثليْ ما باركت لأهل مكة، مع البركة بركتين ".** (صحيح الجامع: ١٢٧٢) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٢٠١)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

" اللهم باركْ لهم في مكيالهم، وبارك لهم في صاعهم، وبارك لهم في مدهم " يعني أهل المدينة ".

وفي رواية للبخاري: **" ..... اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا ".**

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" اللهم اجعل بالمدينة ضعفيْ ما بمكة من البركة[5] "

قال ابن عبد البر في كتابه التمهيد: ١/٢٧٨ ": وقوله ﷺ **" اللهم بارك لهم في صاعهم ومدهم ".** هذا من فصيح كلام رسول الله ﷺ وبلاغته، وفيه استعارة بينه، لأن الدعاء إنما هو للبركة في الطعام المكيل بالصاع والمد، لا في الظروف، والله أعلم وقد يحتمل على ظاهر العموم أن يكون في الطعام والظروف. أهـ

---

١ - أو يخبطه: الخبط جاء هنا عديلًا للقطع، فيراد به معناه الأصلي، وهو إسقاط الورق.

٢ - فسلبه: أي أخذ ما عليه ما عدا الساتر لعورته، زجرًا له عن العودة لمثله.

٣- نفلنيه: التنفيل إعطاء النفل، أي أعطانيه زيادة علي نصيبي من قسمة الغنيمة.

٤ - وفي صاعها ومدها: أي فيما يكال بهما، فهو من باب ذكر المحل وإرادة الحال، لأن الدعاء إنما هو للبركة في الطعام المكيل، لا في المكاييل، والمعني أنه ﷺ دعا لهم بالبركة في أقواتهم جميعًا.

٥ - قال الحافظ بن حجر- رحمه الله - في فتح الباري:٤/٩٨": وقوله "من البركة" أي من بركة الدنيا، بقرينة قوله في الحديث الآخر: " اللهم بارك في صاعنا ومدنا " ويحتمل أن يريد ما هو أعم من ذلك، لكن يستثني من ذلك ما خرج بدليل، كتضعيف الصلاة بمكة على المدينة، واستدل به على تفضيل المدينة على مكة وهو ظاهر من هذه الجهة، لكن لا يلزم من حصول أفضلية المفضول في شيء من الأشياء ثبوت الأفضلية له على الإطلاق- أهـ

وقال النووي - رحمه الله - الظاهر أن البركة حصلت في نفس المكيل بحيث يكفي المد فيها ما لا يكفيه في غيرها، وهذا أمر محسوس عند من سكنها.

(انظر فتح الباري: ٤/١١٧)

وقال الإمام النووي- رحمه الله- كما في شرحه على مسلم: ٤/١٤٢": بعد أن نقل عن القاضي عياض عدة معان لهذا الحديث- قال: والظاهر من هذا كله أن البركة في نفس المكيل في المدينة، بحيث يكفي المُدُّ فيها لمن لا يكفيه في غيرها". أهـ

- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشةَ- رضي الله عنها- قالت:* قدمنا المدينة وهي وبيئة[1] فاشتكي أبو بكر واشتكي بلال، فلما رأي رسول الله ﷺ شكوي أصحابه قال: "اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومُدها، وحَوِّلْ حُمَّاهَا إلى الجُحْفَةِ[2] ".

- *وأخرج الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*

" اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم اجعلْ مع البركةِ بركتين، والذي نفسي بيده ما مِنْ المدينةِ شيء، ولا شِعْبٌ ولا نَقْبٌ إلا عليه مَلَكَان يَحْرسِانَها ".

- *وأخرج الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: دعا النبي ﷺ فقال:*

" اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا، وبارك لنا في شامنا ويمننا "، فقال رجل من القوم: يا نبي الله وَعِراقِنَا؟ قال: إن بها قَرْنَ الشيطان[3]، وتهيج الفتن، وإن الجفاءَ بالمشرق ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٢٠٤)

- *وأخرج ابن حبان بسند صحيح من حديث أبي هريرة ﷺ قال:*

قيل يا رسول الله، صاعنا أصغر الصيعان، ومُدَّنا أصغر الأمداد، فقال رسول الله ﷺ:

" اللهم بارك لنا في صَاعِنا ومُدِّنا وقَلِيلِنا وكثيرنا، واجعل مع البركة بركتين ".

- *وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة وسعد بن مالك[4]- رضي الله عنهما- قالا: قال رسول الله ﷺ:*

" اللهم بارك لأهل المدينة في مدينتهم، وبارك لهم في صاعهم، وبارك لهم في مُدِّهم، اللهم إن إبراهيم عبدُك وخليلُك، وإني عبدُك ورسولُك، وإن إبراهيم سألك لأهل مكة، وإني أسألك لأهل المدينة، كما سألك إبراهيم لأهل مكة ومثله معه...". *الحديث. وفي رواية عند مسلم:* " اللهم بارك لأهل المدينة في مدهم ".

- *وأخرج الإمام أحمد من حديث أَبِي قَتَادَةَ* أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَضَّأَ، ثُمَّ صَلَّى بِأَرْضِ سَعْدٍ بِأَصْلِ الْحَرَّةِ عِنْدَ بُيُوتِ السُّقْيَا، ثُمَّ قَالَ:" اللَّهُمَّ إِنَّ إبراهيم خَلِيلَكَ وَعَبْدَكَ وَنَبِيَّكَ دَعَاكَ لِأَهْلِ مَكَّةَ، وَأَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ مِثْلَ مَا دَعَاكَ بِهِ إبراهيم لِأَهْلِ مَكَّةَ، نَدْعُوكَ أَنْ تُبَارِكَ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ وَمُدِّهِمْ وَثِمَارِهِمْ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ، وَاجْعَلْ مَا بِهَا مِنْ وَبَاءٍ بِخُمٍّ[5]، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ حَرَّمْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا كَمَا حَرَّمْتَ عَلَى لِسَانِ إبراهيم الْحَرَمَ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٩٨)

---

١ - وبيئة: يعني ذات وباء، وهو الموت الذريع، هذا أصله، ويطلق أيضًا على الأرض الوخمة التي تكثر بها الأمراض، لاسيما للغرباء الذين ليسوا مستوطنيها

٢ – وَحَوِّلْ حماها إلى الجحفة: قال الخطابي وغيره: كان ساكنو الجحفة في ذلك الوقت يهودًا، وقال ابن حبان: والعلة في دعاء النبي ﷺ بنقل الحمي الي الجحفة أنها حينئذ كانت دار اليهود، ولم يكن بها مسلم.

وقال الإمام النووي: وفي هذا الحديث علم من أعلام نبوة نبينا ﷺ، فإن الجحفة من يومئذ مجتنبة، ولا يشرب أحد من مائها إلا حُم. (أي أصابته الحمي)

والجحفة: قرية بين مكة والمدنية، وهي على بعد أثنين وثمانين ميلا من مكة، ولم تكن الجحفة حينئذ من بلاد الإسلام، وهي الأن ميقات أهل الشام، والإحرام الأن من رابغ، والجحفة تبعد ٢٢ كيلو جنوب شرق مدينة رابغ (انظر معجم معالم الحجاز: ١٢٢/٢)

٣ - قرن الشيطان: قيل: معناه: أتباع الشيطان، وأشياعه، وقيل: شدته وقوته، ومحل ملكة وتصريفه، وقيل غير ذلك.

٤ - هو سعد بن أبي وقاص ﷺ

٥ - خم: بضم الخاء المعجمة، وتشديد الميم: أسم غيضة بين الحرمين قريبًا من الجحفة لا يولد بها أحد فيعيش إلى أن يحتلم إلا أن يرتحل عنها لشدة ما بها من الوباء والحمى بدعوة النبي ﷺ، وأظن غدير خم مضافًا إليها. (قاله المنذري - رحمه الله -)

٤- ومن فضل المدينة أن الله- تعالى- سماها "طيبة" و "طابة":

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث جابر بن سَمُرَةَ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

" إن الله تعالى سَمَّى المدينة طَابَةَ [1] ".

- وفي رواية عند الطبراني من حديث جابر بن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" إن الله أمرني أن أسمي المدينة طيبة ". (صحيح الجامع: ١٧٢٣)

- وأخرج البخاري من حديث أبي حميد ﷺ قال: **أقبلنا مع النبي ﷺ من تبوك حتى اشرفنا على المدينة فقال: هذه طابة ".**

- وأخرج الإمام مسلم من حديث فاطمة بنت قيس-رضي الله عنها- في حديث الجساسة وفيه أن النبي ﷺ قال: **"هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة " – *وفي رواية البخاري:* " هذه طابة ".**

فالمدينة طيبة تنفي كل ما هو خبيث:

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث زيد بن ثابت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" إنها طيبة، يعني المدينة، وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة ".

يقول الحافظ ابن حجر –رحمه الله– كما في" فتح الباري: ٤/ ٨٩ ":

كانوا يسمون المدينة يثرب، فسماها النبي ﷺ طابة، والطاب والطيب لغتان بمعني واحد واشتقاقهما من الشيء الطيب، وقيل: لطهارة تربتها، وقيل: لطيبها لساكنها، وقيل: من طيب العيش بها، وقال بعض أهل العلم: وفي طيب ترابها وهوائها دليل شاهد على صحة هذه التسمية، لأن من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد في غيرها.

يقول الشيخ عبد المحسن في كتابه "فضائل المدينة صـ١٠ ":

هذا اللفظان (طيبة–طابة) مشتقان من الطيب، ويدلان على الطيب، فهما لفظان طيِّبان أطلقا على بقعةٍ طيبةٍ.

٥- المدينة تنفي الذنوب:

أخرج البخاري من حديث زيد بن ثابت ﷺ قال: **لما خرج النبي ﷺ إلى غزوة أُحُد، رجع ناسٌ ممن خرج معه، وكان أصحاب النبي ﷺ فرقتين: فرقة تقول: نقاتلهم، وفرقة تقول: لا نقاتلهم، فنزلت ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾. (النساء: ٨٨) وقال: إنها طيبة تنفي الذنوب كما تنفي النار خبث الفضة ".**

---

١ - طابة: هذا فيه استحباب تسميتها طابة، وليس فيه أنها لا تسمي بغيرة، فقد سماها الله تعالى المدينة في مواضع من القرآن، وسماها النبي ﷺ طيبة.

٦- المدينة طيبة تنفي شرارها فلا يبقى فيها إلا الطيب:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ ﷺ قَالَ: " يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ، وَقَرِيبَهُ هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ، أَلَا إِنَّ الْمَدِينَةَ كَالْكِيرِ تُخْرِجُ الْخَبِيثَ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ[١] خَبَثَ الْحَدِيدِ[٢] ".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ:

" أمرت بقرية تأكل القرى [٣] يقولون يثرب[٤] وهي المدينة، تنفي الناسَ كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديد ".

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- أن أعرابيا بايع رسول الله ﷺ فأصاب الأعرابي وعك[٥] بالمدينة، فأتي النبي ﷺ فقال: يا محمد أقلني بيعتي، فأبى رسول الله ﷺ ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي، فأبى ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي فأبى، فخرج الأعرابي فقال رسول الله ﷺ: " إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع[٦] طيبها ".

قال النووي -رحمه الله-: ومعني الحديث: أنه يخرج من المدينة من لم يَخْلُص إيمانه، ويَبْقَي فيها من خلص إيمانه.

وقال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-: كما في فتح الباري: ١٠٩/٤: والمراد أنها لا تترك فيها من في قلبه دغل، بل تميزه عن القلوب الصادقة، وتخرجه كما يميز الحدّاد رديء الحديد من جيده.

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث زيد بن ثابت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" إنها طيبة، تنفي الرجال كما تنفي النار خبث الحديد".

- وأخرج البخاري من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" ليس بلدٌ إلا سيطؤه الدجالُ إلا مكةَ والمدينةَ، ليس من نقابها نقبٌ إلا عليه الملائكةُ صافين يحرسونها، ثم ترجفُ المدينةُ بأهلها ثلاث رجفاتٍ فيخرجُ اللهُ كلَ كافرٍ ومنافقٍ ".

وقفة:

وقول النبي ﷺ: " أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة ..... ". الحديث

والمراد بـ (تأكل القرى) أي ينصر اللهُ ﷻ الإسلام بأهل المدينة ويفتح على أيديهم القرى، فتجلب الغنائم إلى المدينة ويأكل أهلها، وأضاف الأكل إلى القرية والمراد: أهلها.

(النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ٤٣٤/١) (شرح السنة للبغوي: ٣٢٠/٧)

---

١ - كالكير: هو منفخ الحداد الذي ينفخ به النار، أو الموضع المشتمل عليها، الأول يكون من الزق ويكون من الجلد الغليظ والثاني أي موضع نار الحداد، يكون مبنيًا من الطين، أو هو يسمي كورًا.

٢ - خبث الحديد: قال العلماء: خبث الحديد والفضة هو وسخهما وقذرهما الذي تخرجه النار منهما.

٣ - أمرت بقرية تأكل القري: معناه أمرت بالهجرة إليها واستيطانها، وذكروا في معني أكلها القري وجهين: أحدهما: أنها مركز جيوش الإسلام في أول الأمر، فمنها فتحت القري وغنمت أموالها وسباياها، والثاني: معناه أن أكلها وميرتها تكون من القرى المفتتحة، وإليها تساق غنائمها.

٤ - يقولون يثرب وهي المدينة: يعني أن بعض الناس من المنافقين وغيرهم يسمونها يثرب، وإنما اسمها المدينة وطابة وطيبة، ففي هذا كراهة تسميتها يثرب.

٥ - وعك: هو مغث الحمي وألمها، ووعك كل شيء معظمه وشدته.

٦ - تنصع: بفتح أوله وسكون النون، وبالمهملتين: أي تصفو وتخلص وتميز، والناصع الصافي الخالص، ومنه قولهم: ناصع اللون أي صافية وخالصة ومعني تنصع طيبها: أي تخلصه، والمعني: أنها إذا نقت الخبث تميز الطيب واستقر فيها (الفتح:٩٧/٤) (النهاية لابن الأثير: ٩٥٥/٥)

ويقول فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد -حفظه الله-:

وقول النبي ﷺ " **تأكل القرى**" أي تنتصر عليها وتكون الغلبة لها على غيرها من القرى ، وفُسِّر بأنها تجلب إليها الغنائم التي تحصل في الجهاد في سبيل الله، وتنقل إليها، وكل من هذين الأمرين قد وقع وحصل، فحصل تغلب هذه المدينة على غيرها من المدن، بأن انطلق منها الهداةُ المصلحون والغزاةُ الفاتحون، وأخرجوا الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، فدخل الناس في دين الله ﷻ وكل خير حصل لأهل الأرض فإنما خرج من هذه المدينة المباركة، مدينة رسول الله ﷺ، فكونها تأكل القرى يصدق على كون الانتصار لها على غيرها من المدن، كما حصل ذلك في الصدر الأول، ومع الرعيل الأول من أصحاب رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم- وكذلك أيضًا حصول الغنائم والإتيانُ بها إليها، وهذا أيضا قد حصل، فإن النبي ﷺ أخبر عن إنفاق كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله ﷻ وقد حصل ذلك، فقد أُتِيَ بهذه الكنوز إلى هذه المدينة المباركة، وقسمت على يد الفاروق ﷺ .أهـ

٧- المدينة خالية من الوباء والأمراض:

كانت المدينة قبل هجرة النبي ﷺ يكثر فيها المرض وتنتشر فيها الحمي، فدعا النبي ﷺ بالبركة وأن يصرف وباءها إلى الجحفة.

- *وأخرج البخاري من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت:* لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك[١] أبو بكر وبلال فكان أبو بكر إذا أخذته الحمَّى يقول: كل امرئ مصبح في أهله والموت أدني من شراك نعله وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته[٢] يقول:

ألا ليتَ شعري هل أبيتنَّ ليلة بواد وحولي إذْخِرٌ وجليل[٣]

وهل أردن يوما مياه مجنة[٤] وهل يبدون لي شامة وطفيل[٥]

قال اللهم ألعن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء ثم قال رسول الله ﷺ:" اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة، قالت: وقدمنا المدينة وهي أوبأ[٦] أرض الله قالت: فكان بطحان[٧] يجري نجلا تعني ماء آجنا[٨] ".

---

١ - الوعك: هو الحمي، والموعوك: المحموم

٢ - عقيرته: صوته (النهاية لابن الأثير: ٢٧٥/٣)

٣ – الأذخر والجليل: نبات: الأول حشيش طيب الرائحة، والثاني: شجر الثُّمام (النهاية لابن الأثير: ٢٨٩/١)

٤ - مجنة: بالفتح وتشديد النون – جبل لبني الد يل خاصة بتهامة، بجنب طفيل، وإياه أراد بلال، وقيل: مجنة، هي بلدة تجُرة المعروفة اليوم بين مكة وجدة، وبها كان يقام سوق مَجَنَّة في الجاهلية

٥ - شامة وطفيل: جبلان بالقرب من مكة، وقيل: شامة: جبل جنوب شرقي جدة مشرف على الساحل تجاوره حرة اسمها طفيل تقرن دائما معه فيقال: شامة وطفيل (انظر معاجم البلدان: ٣١٥/٣)

٦ - وهي أوبًا: بالهمزة بوزن أفعل من الوباء، وهو المرض العام.

٧ - فكان بطحان: وهو وادي بالمدينة

٨ - يجري نجلا، تعني ماء آجنا: هو من تفسير الراوي عنها، وغرضها بذلك بيان السبب من كثرة الوباء بالمدينة، لأن الماء الذي هذه صفته يحدث منه المرض، وقولها " نجلا " قال ابن السكيت: النجل: العين حين تظهر وينبع عين الماء، وقال الحربي: نجلا، أي واسعًا، ومنه عين نجلاء: أي واسعة، وقيل: هو الغدير الذي لا يزال فيه الماء.

- ***وأخرج الطبراني في الأوسط في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:***

" رأيتُ في المنام امرأةً سوداء ثائرةَ الرأسِ خرجت حتى قامت بمَهْيعة[1]، وهي الجُحفة، فأوَّلتُ أن وباءَ المدينة نقل إلى الجحفة ".

- ***وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عند أبي قتادة وفيه أن النبي ﷺ قال:***

" ..... اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة، واجعل ما بها من وباء بِخُمٍّ..... ". *الحديث*

قال الخطابي –رحمه الله–: وفي قول النبي ﷺ **"وانقل حماها إلى الجحفة"** لأن ساكنوا الجحفة في ذلك الوقت كانوا يهودًا وهم أعداء الإسلام والمسلمين، ولذا توجه دعاءه ﷺ عليهم، ففيه جواز الدعاء على الكفار بالأمراض والهلاك، وللمسلمين بالصحة وطيب بلادهم والبركة فيها، وكشف الضر والشدائد عنهم، وفيه إظهار معجزة عجيبة فإنها من يومئذ وبيئة لا يشرب أحد من مائها إلا حُم ولا يمر بها طائر إلا حُم وسقط.. وقال عياض: فيه معجزة له ﷺ، فإن الجحفة من يومئذ وبيئة وخمة لا يشرب أحد من مائها إلا حُم، أي من الغرباء الداخلين عليها. أهـ

واستجاب الله دعاء نبيه ﷺ للمدينة، وجعلها بلدًا طيبًا، وسماها طيبة

وروى ابنُ هشام وابنُ كثيرٍ وغيرهما – في السيرة النبوية –عن عبد الله بن عمرو بن العاص–رضي الله عنهما–: **" أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة حتى جهدوا مرضا، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ، حتى كانوا وما يُصَلُّون إلا وهم قعود، قال: فخرج رسول الله ﷺ وهم يصلون كذلك فقال لهم: أعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم، فتجشم المسلمون القيام على ما بهم، من الضعف والسقم والتماس الفضل.**

وكان النبيّ ﷺ يصبّر أصحابه – رضوان الله عليهم– ويشد من عزمهم، ويبين لهم الأجر والثواب لمن يصبر على ما يجده في المدينة من شدتها وأمراضها، ***فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال:***

قال رسول الله ﷺ: **" لا يصبر على لأواء المدينة وشدّتها أحد من أمتي إلا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة، ولا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه".**

وهكذا خلت طَيْبَةَ الطيِّبةَ –ملتقى المهاجرين والأنصار، وموطن الذين تبوؤوا الدار والإيمان– من الوباء، وحَسُنَ حالها، وعظُم شرفها، حتى فُضِّلت على سائر بقاع الأرض –عدا مكة المكرمة–، واستقر أمر المسلمين بها، وصارت حاضرة الإسلام الأولى بعد الهجرة إليها، وفيها عقدت ألوية الجهاد في سبيل الله، ومنها شعَّ النور، فأشرقت الأرض بأنوار الهداية والتوحيد.

---

١ - مهيعة: بفتح الميم، وإسكان الهاء بعدها ياء مثناة تحت، وعين مهملة مفتوحتين هي اسم لقرية قديمة كانت بميقات الحج الشامي علي اثنين وثلاثين ميلا من مكة، فلما أخرج العماليق بني عبيل إخوة عاد من يثرب نزلوها فجاءهم سيل الجُحاف بضم الجيم فجحفهم، وذهب بهم فسميت حينئذ الجحفة، بضم الجيم، وإسكان الحاء المهملة.

٨- المدينة يستشفي بتربتها وتمرها:

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة – رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى الإنسانُ أو كانت به قرحةٌ، أو جرح، قال: بأصبعه هكذا- ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها-، وقال: بسم الله، تربة أرضنا[١]، بريقة بعضنا، يُشفى سقيمنا، بإذن ربنا ".

- وأخرج الإمام مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:
" من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره سم حتى يمسي ".

- وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:
" من تصبَّح بسبعِ تمراتٍ عجوة لم يضرُّه في ذلك اليوم سم ولا سحر – وفي رواية عند الإمام أحمد: من أكل سبع تمرات عجوة مما بين لابتي المدينة على الريق لم يضره يومه ذلك شيءٌ حتى يمسي ".

- وفي صحيح مسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال:
" إن في عجوة[٢] العالية[٣] شفاء، أو انها ترياق[٤]، أول البكرة[٥] "، وعند الإمام أحمد بلفظ: "واعلموا أن الكمأة دواء العين، وأن العجوة من فاكهة الجنة ".

- وأخرج النسائي وأبو داود من حديث سعيد بن زيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:
" الكمأة [٦] من المن[٧]، وماؤها شفاء للعين[٨]، والعجوة من الجنة ".

- وأخرج أبو داود عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: مرضتُ مرضًا، أتاني رسول الله ﷺ يعودني، فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي، فقال: " إنك رجل مفؤود[٩]، ائت الحارث بن كَلَدَة أخا ثقيف، فإنه رجل يتطبب، فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة، فَلْيَجَأهن بنواهن، ثم ليَلُدَّك بهن ".

- وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها- تأمر من الدُّوام أو الدُّوار[١٠] بسبع تمرات عجوة في سبع غدواتٍ على الطريق ".

١- قال الإمام النووي: رحمه الله- في شرح صحيح مسلم: ١٤/١٨٤": وقوله ﷺ: " تربة أرضنا " قال جمهور العلماء، والمراد بأرضنا هنا جملة الأرض، وقيل المراد بأرضنا أرض المدينة خاصة، لبركتها. أ هـ

٢ - العجوة: قال الجوهري: ضرب من أجود التمر بالمدينة، ونخلتها تسمي لينة.

٣ - العالية المقصود بها عالية المدينة، وجمعها عوالٍ، وهي ما كان في الجهة الجنوبية من المدينة وأدناها إلى المسجد النبوي يبعد ميلا، واختلفوا في أقصاها، فقال بعضهم: يبعد ثلاثة أميال، وقال آخرون: يبعد ثمانية أميال، (انظر وفاء الوفاء للسمهودي: ٤/١٢٦٠) وقال القاضي: وأدني العالية ثلاثة أميال، وأبعدها ثمانية من المدينة. أ هـ

٤ – الترياق: ما يستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين وهو معرب (النهاية لابن الأثير: ١/١٨٨)

٥ - أول البكرة: وجاء في رواية: على ريق النفس"، والمراد أكلها في الصباح قبل أن يأكل أي شيء آخر.

٦ - الكمأة: نوع من الدرينيات والجذور التي لا ورق لها ولا ساق تخرج في الارض بدون زرع، وتكثر أيام الخصب وكثرة المطر والرعد، وقيل: هو نبات يقال له أيضًا: شحم الأرض ويوجد في الربيع تحت الارض وهو أصل مستدير كالقلقاس، لا ساق له ولا عرق، لونه يميل إلى الغبرة، وهو من النوادر

٧ - المنّ: قيل من جنس المنّ الذي نزل علي موسي -عليه السلام- وقومه، وقيل هو ما أمتن الله به على عبادة بدون علاج فهو شبية به، وكونها من المن لأنها تخرج بلا مؤونة ولا كلفة كما أن المن كذلك، وقيل: لأنها من الحلال المحض الذي ليس في اكتسابه شبهة.

٨ - شفاء للعين: هذا من طبّه ﷺ ونحن نؤمن بذلك إيمان اليقين، ولكن ينبغي الرجوع في ذلك الي ذوي الاختصاص من أهل الطب النبوي.

٩ - مفؤود: هو الذي أصيب فؤاده، كما قالوا لمن أصيب بطنه مبطون

١٠- بضم الدال وتخفيف الواو بمعنى واحد: وهو ألم يصيب الرأس ويسبب دُاور الرأس.

٩- المدينة مصونة محروسة فلا يدخلها الطاعون أو الدجال:

صان الله – تعالى– المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها:

– فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" على أَنْقَابِ[١] المدينة ملائكةٌ، لا يدخلها الطاعونُ، ولا الدجالُ ".

– وعند البخاري من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" المدينةُ يأتيها الدجالُ، فيجدُ الملائكةَ يحرسونها، فلا يقربها الدجال، ولا الطاعون إن شاء الله ".

قال الإمام النووي –رحمه الله– كما في شرحه على مسلم: ٩/٥٠٥ ": وفي الحديث فضيلة المدينة، وفضيلة سكناها وحمايتها من الطاعون والدجال ". أهـ

– وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " يأتي المسيح[٢] من قبل المشرق همته المدينة حتى ينزل دُبُرَ أُحُد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشَّام وهنالك يهلك ".

– وأخرج الإمام مسلم عن فاطمة بنت قيس– رضي الله عنها– أنها قالت في حديث طويل "... سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إن الدجال قال: إني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة[٣] فهما محرمتان علي كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة، أو واحدًا منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا[٤] يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها ".

– وأخرج الإمام أحمد والطبراني عن سفينةَ ﷺ أن النبي ﷺ تحدث عن الدجال فقال:

" ..... ثم يسير حتى يأتيَ المدينةَ، فلا يؤذن له فيها، فيقول: هذه قرية ذلك الرجل، ثم يسير حتى يأتي الشام، فينزل عيسي–عليه السلام– فيقتله عند عقبة أفيق[٥] ".

– وعند البخاري من حديث أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" لا يدخلُ المدينةَ رعب المسيح الدجال، لها يومئذ سبعةُ أبواب، على كل باب ملكان ".

– وأخرج البخاري ومسلم واللفظ له من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إلاَّ سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إلاَّ مَكَّةَ والمَدينة، ولَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أنْقَابِهما إلاَّ عَلَيْهِ المَلائِكَةُ صَافِّينَ تحْرُسُهُما، فَيَنْزِلُ بالسَّبَخَةِ –وفي رواية: فيأتي سبخة الجُرْف[٦] فيضرب رِواقَه[٧] – فَتَرْجُفُ المدينةُ ثلاثَ رَجَفَاتٍ، يُخْرِجُ اليه مِنْهَا كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ – وفي رواية كل منافق ومنافقة ".

وفي رواية عند الإمام مسلم من حديث أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص– رضي الله عنهما– قالا: قال رسول الله ﷺ:" .... إن المدينة مُشبَكةٌ بالملائكة، على كل نقب منها ملكان يَحْرُسونها، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال، فمن أرادها بسوءٍ أذابه الله كما يذوبُ الملحُ في الماء ".

---

١ ـ أنقاب: الطرق والمداخل
٢ ـ يأتي المسيح: أي المسيح الدجال
٣ – طيبة: المدينة
٤ ـ صلتا: أي مجردًا سيفه من غمده (النهاية لابن الأثير: ٣/٤٥)
٥ ـ عقبة أفيق: قرية بين الغور وحوران من بلاد الشام، وعقبتها: الأرض المرتفعة فيها
٦ ـ الجُرْف: موضع شمال غرب المدينة وهو اليوم حي من احياء المدينة عامر بالسكان ولا يزال معروفًا بهذا الاسم
٧ ـ رواقه: أي فسطاطه وقبته وموضع جلوسه (النهاية لابن الأثير: ٢/٢٧٨)

١٠ - النبي -صلى الله عليه وسلم- يُرَغِبُ في سُكْنَى المدينة والصبر على لأوائها:

فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه "كتاب الحج، باب الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها" عن أبي سعيد مولى المهري أنه أصابهم بالمدينة جَهدٌ وشدةٌ، وأنه أتى أبا سعيد الخدري ﷺ فقال له:

"إني كثير العيال، وقد أصابتنا شدة، فأردت أن أنقل عيالي إلى بعض الريف[١]، فقال أبو سعيد: لا تفعل، إلزم المدينة، فإنا خرجنا مع نبي الله ﷺ -أظن أنه قال- حتى قدمنا عُسْفَانَ، فأقام بها ليالي، فقال الناس: والله ما نحن هاهنا في شيء، وإن عيالنا لخُلُوفٌ[٢] ما نأمنُ عليهم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال :ما هذا الذي بلغني من حديثكم؟ - ما أدري كيف قال؟ - والذي أحلف به أو والذي نفسي بيده لقد هممت أو إن شئتم (لا أدري أيتهما قال) لآمُرنَّ بناقتي تُرْحَلُ[٣] ثم لا أحل لها عقدة حتى أقدم المدينة[٤]، وقال: اللهم إن إبراهيم حرَّم مكة فجعلها حرمًا، وإني حرَّمت المدينة حرامًا[٥] ما بين مَأْزِمَيْهَا[٦] أن لا يُهراق فيها دم، ولا يحمل فيها سلاح لقتال، ولا تُخْبَطَ فيها شجرة إلا لعلف[٧]، اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مُدِّنَا، اللهم اجعل مع البركة بركتين، والذي نفسي بيده ما من المدينة شعب ولا نقب[٨] إلا عليه ملكان يحرسانها حتى تقدموا إليها - ثم قال للناس-: (ارتحلوا فارتحلنا)، فأقبلنا إلى المدينة، فو الذي نحلف به أو يحلف به - الشك من حماد - ما وضعنا رحالنا حين دخلنا المدينة[٩] حتى أغار علينا بنو عبدالله بن غطفان، وما يهيجهم[١٠] قبل ذلك شيء.

- وفي رواية عن أبي سعيد مولى المُهْرِيِّ أنه جاء أبا سعيد الخدري، ليالي الحَرَّةِ[١١]، فاستشاره في الجلاء[١٢]من المدينة، وشكا إليه أسعارها، وكثرة عياله، وأخبره أن لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها، فقال له: ويحك لا أمرك بذلك إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يصبر أحد على لأوائها فيموت إلا كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة إذا كان مسلمًا ".

---

١ - الريف: بكسر الراء قال أهل اللغة: الريف هو الأرض التي فيها زرع وخصب، وجمعه أرياف ويقال: أريفنا، صرنا إلى الريف، وأرافت الأرض، أخصبت فهي ريفة.

٢ - وإن عيالنا لخلوف: أي ليس عندهم رجال ولا من يحميهم

٣ - تُرْحَل: أي يشد عليها رحلها.

٤ - ثم لا أحل لها عقدة حتى أقدم المدينة: معناه أواصل السير ولا أحل عن راحلتي عقدة من عقد حملها ورحلها حتى أصل إلى المدينة، لمبالغتي في الإسراع الي المدينة.

٥ - إني حرمت المدينة حرامًا: نصب على المصدر، إما لحرمت على غير لفظه كقوله تعالى: (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا) وما بين مأزميها بدل من المدينة، ويحتمل أن يكون حرامًا مفعول فعل محذوف، أي جعلت حرامًا ما بين مأزميها، وما بين مأزميها مفعولًا ثانيًا.

٦ - ما بين مأزميها: المأزم هو الجبل، وقيل: المضيق بين الجبلين ونحوه، والأول هو الصواب هنا، ومعناه ما بين جبليها.
(أنظر النهاية لابن الأثير: ٢٨٨/٤) (فتح الباري:٨٣/٤)

٧- العلَف: هو بإسكان اللام، وهو مصدر علفت علفًا، وأما العلف، بفتح اللام، فاسم للحشيش والتبن والشعير ونحوها.

٨ - شعب ولا نقب: قال أهل اللغة: الشعب هو الفرجة النافذة بين الجبلين، وقال ابن السكيت: هو الطريق في الجبل، والنقب هو مثل الشعب، وقيل هو الطريق في الجبل، قال الأخفش: أنقاب المدينة طرقها وفجاجها.

٩ - ما وضعنا رحالنا حين دخلنا المدينة - - - إلخ: معناه أن المدينة في حال غيبتهم عنها كانت محمية محروسة، كما أخر النبي ﷺ حتى أن بني عبد الله بن غطفان أغاروا عليها حين قدمناه، ولم يكن قبل ذلك يمنعهم من الإغارة عليها مانع ظاهر، ولا كان لهم عدو يهيجهم ويشتغلون به، بل سبب منعهم قبل قدومنا حراسة الملائكة، كما أخبر النبي ﷺ.

١٠- وما يهيجهم: قال أهل اللغة: يقال هاج الشر وهاجت الحرب وهاجها الناس، أي تحركت وحركوها، وهجت زيدًا، حركته للأمر، كله ثلاثي.

١١ - ليالي الحرة: يعني الفتنة المشهورة التي نهبت فيها المدينة سنة ثلاث وستين.

١٢ - الجلاء هو الفرار من بلد إلى غيره.

- *وفي رواية أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:* " إني حرمتُ ما بين لابتَي المدينة كما حرم إبراهيم مكة " قال: ثم كان أبو سعيد يأخذ (وقال أبو بكر: يَجِدُ) أحدنا في يده الطير[1]، فيفكه من يده ثم يرسله.

- *وأخرج الإمام أحمد والبزار واللفظ له من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*

" ليأتين على أهل المدينة زمانٌ ينطلق الناس منها إلى الأرياف يلتمسون الرخاء فيجدون رخاءً، ثم يأتون فيتحمَّلُون بأهليهم إلى الرخاء، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٨٩)

- *وأخرج الطبراني في الكبير:* عن أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري أنه مر بزيدِ بنِ ثابتٍ وأبي أيوبَ –رضي الله عنهما– وهما قاعدان عند مسجدِ الجنائزِ فقال أحدُهما لصاحبِه: تذكرُ حديثًا حدثناه رسولُ اللهِ ﷺ في هذا المسجدِ الذي نحن فيه؟ قال: نعم عن المدينةِ سمعتُه يزعمُ أنه سيأتي على الناسِ زمانٌ تفتحُ فيه فتحاتُ الأرضِ فيخرجُ إليها رجالٌ فيصيبون رخاءً وعيشًا وطعامًا فيمرون على إخوانٍ لهم حُجَّاجًا أو عمارًا فيقولون: ما يقيمُكم في لأواءِ العيشِ وشدةِ الجوعِ؟! قال رسولُ اللهِ ﷺ: فذاهبٌ وقاعدٌ – حتى قالها مرارًا – والمدينةُ خيرٌ لهم لا يثبتُ بها أحدٌ فيصبرَ على لأوائِها وشِدَّتِها حتى يموتَ – إلا كنتُ له شهيدًا أو شفيعًا".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١١٩٢)

- *وأخرج الطبراني في الكبير من حديث أبي أسيد الساعدي ﷺ قال:*

كنَّا مع رسولِ اللهِ ﷺ على قبرِ حمزةَ بنِ عبدِ المطَّلبِ فجعلوا يجرُّون النَّمِرةَ على وجهِه فتنكشِفُ قدماه ويجرُّونها على قدمَيْه فينكشِفُ وجهُه فقال رسولُ اللهِ ﷺ اجعلوها على وجهِه واجعلوا على قدمَيْه من هذا الشَّجرِ قال فرفع رسولُ اللهِ ﷺ رأسَه فإذا أصحابُه يبكون فقال رسولُ اللهِ ﷺ:" إنَّه يأتي على النَّاسِ زمانٌ يخرُجون إلى الأريافِ فيُصيبون منها مَطعمًا ومَلبسًا ومَركبًا أو قال مراكبَ فيكتُبون إلى أهليهم هَلُمَّ إلينا فإنَّكم بأرضِ مجازٍ جَدُوبةٍ، *وفي رواية:* إنكم بأرض جَرَدية[2] والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١١٩١)

- *وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*" يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه: هلم إلى الرخاء! هلم إلى الرخاء! والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ".

- *أخرج البخاري ومسلم من حديث سُفْيَانَ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:*

" تُفْتَحُ الشَّامُ، فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَبُسُّونَ[3]، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تُفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَبُسُّونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تُفْتَحُ الْعِرَاقُ، فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَبُسُّونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ".

١- في يده الطير: جملة اسمية، وقعت حالًا، نحو كلمته فوه إلي فيّ.

٢ - جَرَدِيةَ: قيل: هي منسوبة إلى الجَرَد – بالتحريك - وهي كل أرض لا نبات بها (النهاية لابن الأثير: ٢٥٧/١)

٣ - يبسون: بفتح الياء المثناة من تحت وبعدها باء موحدة تضم وتكسر من " بس " أو " بَسْ " والبسّ هي كلمة زجر للدواب عند سوقها لتسرع، فالمقصود بها هو السوق الشديد (قاله أبو عبيد)، وقيل: البس: هو سرعة الذهاب. وقيل معناه يدعون الناس إلى بلاد الخصب، وهو قول إبراهيم الحربي، وقال ابن وهب: معناه يزينون لهم البلاد ويحببونها إليهم ويدعونهم إلى الرحيل إليه، قال النووي - رحمه الله-: " والصواب الذي عليه المحققون أ ن معناه الإخبار عمن خرج من المدينة متحملًا بأهله باسًا في سيره مسرعًا إلى الرخاء في الأمصار التي أخبر النبي ﷺ بفتحها. (انظر شرح مسلم للنووي: ١٠٨/٩) وفتح الباري: ٩٢/٤)

- ***وفي الصحيحين أيضًا*** : " يُفتحُ اليمنُ، فيأتي قوم يَبُسُّونَ فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم يفتح الشَّامُ فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ثم يفتح العراقُ، فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون".

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله- كما في فتح الباري: ٤/٩٣ :

والحال أن الاقامة في المدينة خير لهم لأنها حرمُ رسول الله ﷺ وجواره، ومهبطُ الوحي، ومنزلُ البركات، لو كانوا يعلمون ما في الإقامة بها من الفوائد الدينية بالفوائد الأخروية التي يستحقر دونها ما يجدونه من الحظوظ الغائبة العاجلة بسبب الإقامة في غيرها "

وقال الإمام النووي رحمه الله كما في شرحه على مسلم: ٩/١٥٩ "

قال العلماء: في هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ لأنه أخبر بفتح هذه الأقاليم، وإن الناس يتحملون بأهليهم إليها ويتركون المدينة، وإن هذه الأقاليم تفتح على هذا الترتيب، ووجد جميع ذلك كذلك بحمد الله وفضله، وفيه فضيلة سكني المدينة والصبر على شدتها وضيق العيش بها.

١١- من عاش بالمدينة وصبر على جهد العيش فيها شفع له النبي ﷺ:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله:

" المدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحد رغبةً عنها إلا أبدل الله فيها من هو خيرٌ منه، ولا يثبت أحدٌ على لأْوَائِهَا[١] وجَهْدِهَا[٢] إلا كنت له شفيعًا أو شهيدًا[٣] يوم القيامة ..... ". ***الحديث***

- ***وأخرج الإمام مسلم من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:***

" من صبر على لأوائها كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة ".

وفي رواية: عن يُحَنَّسَ مولي الزبير، أخبره أنه كان جالسًا عند ابن عمر في الفتنة[٤] فأتته مولاة له تسلم عليه فقالت: إني أردت الخروج يا أبا عبدالرحمن اشتد علينا الزمان، فقال لها عبدالله: اقعدي لَكَاعِ[٥]، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:" لا يصبر على لأوائها وشدتها أحدٌ إلا كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة".

- ***وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:***

" لا يصبرُ على لأواء المدينة وشدتها أحدٌ من أُمتي، إلا كنتُ له شفيعًا يوم القيامة أو شهيدًا ".

١- لأوائها: قال أهل اللغة: اللأواء: مهموز ممدود وهي: شدة الجوع، والضيق في المعيشة

٢- وجهدها: والجهد: هو المشقة

٣ - شفيعًا أو شهيدًا: أو بمعني الواو، أو للتقسيم، أي شفيعًا لقوم وشهيدًا لآخرين، قال القاضي عياض: إن هذا الحديث رواه جابر، وسعد، وابن عمر، وأبو سعيد، وأبو هريرة، وأسماء بنت عميس، وصفية بنت أبي عبيد - رضي الله عنهم- عن النبي ﷺ بهذا اللفظ، ويبعد اتفاق جميعهم أو رواتهم على الشك وتطابهم فيه على صيغة واحدة، بل الأظهر أنه قاله ﷺ هكذا.

٤ - في الفتنة: وهي وقعة الحرة التي وقعت زمن يزيد.

٥ - اقعدي لكاع: قال أهل اللغة: يقال امرأة لكاع ورجل لكع، ويطلق ذلك على اللئيم وعلي العبد وعلي الغبي الذي لا يهتدي لكلام غيره، وعلي الصغير

١٢ - ولفضل وحرمة المدينة توعد النبي ﷺ كل من أحدث فيها أو آوي محدثا بوعيد شديد:

ففي الصحيحين عن عاصم بن سليمان الأحول قال: قلت لأنس بن مالك ﷺ أحرم رسول الله ﷺ المدينة؟ قال: نعم، ما بين كذا إلى كذا، فمن أحدث فيها حدثًا[١] قال ثم قال لي: هذه شديدةٌ " من أحدث فيها حدثًا فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صَرْفًا ولا عَدْلًا[٢] قال: فقال ابن أنس: (أو آوى محدثا) **وفي رواية:** المدينة حرام من كذا إلى كذا، لا يقطع شجرها، ولا يحدث فيها حدث، من أحدث فيها حدثًا، أو آوي محدثًا، فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين، لا يقبلُ الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا ". (صحيح الجامع: ٦٦٨٥)

- **وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:** " المدينةُ حرمٌ، فمنْ أحدثَ فيها حدثًا أو آوى مُحِدثًا فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبلُ منه يوم القيامةِ عدلا ولا صرف ".

- **وأخرج البخاري ومسلم والإمام أحمد وأبو داود من حديث عليٍّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:**

" المدينة حرامٌ، ما بين عَيْرٍ إلى ثَوْرٍ، فمن أحدث فيها حدثًا، أو آوى فيها محدثًا[٣]، فعليه لعنة الله، والملائكةِ، والناسِ أجمعينَ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا، ولا عدلًا ..... ". (صحيح الجامع: ٦٦٨٣)

---

١ - فمن أحدث فيها حدثا: معناه من أتي فيها إثمًا، يقول ابن الأثير رحمه الله: والحدث: الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد، ولا معروف في السنة، والمحدث: يروي بكسر الدال وفتحها، على الفاعل والمفعول، فمعني الكسر: من نصر جابيًا، أو آواه وأجاره من خصمه، وحال بينه وبين أن يقتص منه.
(النهاية لابن الأثير: ٣٨٨/١)

٢ - صرفًا ولا عدلًا: قال الأصمعي: الصرف التوبة، والعدل الفدية: وروي ذلك عن النبي ﷺ قال القاضي: وقيل المعني لا تقبل فريضته ولا نافلته قبول رضا، وإن قبلت قبول جزاء.

٣ - أو آوي محدثًا: أي آوي من أتاه وضمه إليه وحماه أو دافع عنه، أو منع من الاقتصاص منه، أو الرضا بفعله أيًا كان نوع إحداثه.

- ***وأخرج البخاري ومسلم من حديث عليّ ﷺ عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال:*** خطبنا عليّ بنُ أبي طالب ﷺ فقال:" من زعم أن عندنا شيئا نَقْرأهُ إلا كتاب الله وهذه الصحيفة - قال: وصحيفة معلقة في قراب سيفه[١]- فقد كذب[٢]، فيها أسنان الإبل[٣]، وأشياء من الجراحات، وفيها قال النبي ﷺ: المدينة حرم ما بين عير إلى ثور[٤]فمن أحدث فيها حدثًا، أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا، وذمة المسلمين واحدة[٥] يسعى بها أدناهم[٦]،[فمن أخفر مسلمًا[٧] فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا] ومن ادَّعى إلى غير أبيه[٨] أو انتمى إلى غير مَوَاليه فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعينَ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا " .

١٣ - من أراد أهل المدينة بسوء أهلكه الله وأذابه كما يذوب الملح في الماء:

- ***وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال أبو القاسم ﷺ:*** " من أراد أهل هذه البلدة – يعني المدينة– بِسُوءٍ[٩] ***وفي رواية:*** بدَهْمٍ[١٠]أو بسوء، أذابه الله كما يذوب الملحُ في الماء".

- ***وأخرج البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:***

" من أراد أهل المدينة بسوء، أذابه الله كما يذوب الملح في الماء "***لفظ البخاري*** " لا يكيد أهل المدينة أحد، إلا انماع كما ينماع الملح في الماء ".

وعند البزار بلفظ: " اللهم اكفهم مَنْ دَهَمَهم[١١] ببأس– يعني أَهل المدينة– ولا يريدها أحدٌ بسوء إلا أذابه الله كما يذوب المِلحُ في الماءِ ".

- ***وعند مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ:***

" ولا يريدُ أحدٌ أهلَ المدينةِ بسوء إلا أذابه اللهُ في النار ذَوْبَ الرصَّاصِ، أو ذَوْبَ الملحُ في الماءِ ".

---

١ - في قراب سيفه: القراب هو الغلاف الذي يجعل فيه السيف بغمده.

٢ - فقد كذب: هذا تصريح من علي -رضي الله تعالى عنه - بإبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة، ويخترعونه من قولهم: إن عليًا ﷺ أوصى إليه النبي ﷺ بأمور كثيرة من أسرار العلم، وقواعد الدين، وكنوز الشريعة، وأنه ﷺ خص أهل البيت بما لم يطلع عليه غيرهم، وهذه دعاوى باطلة، واختراعات فاسدة، لا أصل لها، ويكفي في إبطالها قول علي ﷺ هذا

٣ - فيها أسنان الإبل: أي في تلك الصحيفة بيان أسنان الإبل التي تعطي دية.

٤ - المدينة حرم ما بين عير إلى ثور: ذكر ابن حجر –رحمه الله- في فتح الباري، ٨٢/٤، قول مصعب الزبيري: ليس بالمدينة عير ولا ثور. وأثبت غيره عيرا ووافقه على إنكار ثور، قال أبو عبيد: قوله: "ما بين عير إلى ثور" هذه رواية أهل العراق، وأما أهل المدينة فلا يعرفون جبلا عندهم يقال له ثور وإنما ثور بمكة. ثم قال الحافظ ابن حجر قال المحب الطبري في "الأحكام" بعد حكاية كلام أبي عبيد ومن تبعه: قد أخبرني الثقة العالم أبو محمد عبد السلام البصري أن حذاء أُحُد عن يساره جانحا إلى ورائه جبل صغير يقال له ثور، وأخبر أنه تكرر سؤاله عنه لطوائف من العرب - أي العارفين بتلك الأرض وما فيها من الجبال - فكل أخبر أن ذلك الجبل اسمه ثور، وتواردوا على ذلك. قال فعلمنا أن ذكر ثور في الحديث صحيح، وأن عدم علم أكابر العلماء به لعدم شهرته وعدم بحثهم عنه. قال وهذه فائدة جليلة. ثم قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله-: وقرأت بخط شيخ شيوخنا القطب الحلبي في شرحه: حكى لنا شيخنا الإمام أبو محمد عبد السلام بن مزروع البصري أنه خرج رسولا إلى العراق فلما رجع إلى المدينة كان معه دليل وكان يذكر له الأماكن والجبال، قال: فلما وصلنا إلى أحد إذا بقربه جبل صغير، فسألته عنه فقال: هذا يسمى ثورا. قال فعلمت صحة الرواية. قلت: وكأن هذا كان مبدأ سؤاله عن ذلك. وذكر شيخنا أبو بكر بن حسين المراغي نزيل المدينة في مختصره لأخبار المدينة أن خلف أهل المدينة ينقلون عن سلفهم أن خلف أحد من جهة الشمال جبلا صغيرا إلى الحمرة بتدوير يسمى ثورا، قال وقد تحققته بالمشاهدة. (أ هـ من فتح الباري لابن حجر رحمه الله، ٨٢/٤-٨٣)

٥ - وذمة المسلمين واحدة: المراد بالذمة هنا الأمان، معناه أن أمان المسلمين للكافر صحيح، فإذا أمنه أحد المسلمين حرم على غيره التعرض له مادام في أمان المسلم.

٦ - يسعى بها أدناهم: أي يتولاها ويلي أمرها أدني المسلمين مرتبة.

٧ - فمن أخفر مسلمًا: معناه من نقض أمان مسلم، فتعرض لكافر أمنه مسلم، قال أهل اللغة: يقال أخفرت الرجل: إذا نقضت عهده، وخفرته إذا أمنته.

٨ - ومن ادعي إلى غير أبيه: هذا صريح في غلظ تحريم انتماء الإنسان إي غير أبيه، أو انتماء العتيق إلى غير مواليه لما فيه من كفر النعمة وتضييع حقوق الإرث والولاء والعقل وغير ذلك، مع ما فيه من قطيعة الرحم والعقوق.

٩- سوء: قيل يحتمل أن المراد من أرادها غازيًا مغيرًا عليها، ويحتمل غير ذلك

١٠- بدهم: أي بغائلة وأمر عظيم

١١ - دهمهم: أي فجأهم بأمر عظيم (النهاية لأبن الأثير: ١٤٥/٢)

قال القاضي عياض – رحمه الله-:

وقوله "من أراد أهل المدينة بسوء، أذابه الله في النار ذوب الرصاص " هذه الزيادة ترفع إشكال الأحاديث التي تذكر فيها- لفظ أذابه في النار- وأن هذا حكمة في الآخرة، ويحتمل أن يكون المراد من أرادها في حياة النبي ﷺ بسوء أضْمَحَلَّ أمره كما يضمحلُّ الرصاص في النار، فيكون اللفظ تقديم وتأخير، ويؤيده قوله في الحديث " كما يذوب الملح في الماء"، ويحتمل أن يكون المراد: لمن أرادها في الدنيا فلا يمهله الله ولا يمكن سلطانه، ويذهبه عن قرب، كما انقضي شأن من حاربها أيام بني أمية مثل مسلم بن عقبة، وهلاكه في منصرفه عنها، ثم هلاك يزيد بن معاوية على إثر ذلك، وغيرهم من صنع مثل صنيعهم.

(إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض: ٤/٤٥٣)

١٤- من أخاف أهل المدينة أخافه الله - عز وجل-:

- *فقد أخرج ابن حبان في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:*

" من أخاف أهل المدينة أخافه الله ". (الصحيحة: ٢٣٠٤) (صحيح الجامع: ٥٩٧٧)

- *وأخرج الإمام أحمد والبخاري في تاريخه عن جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما- أن أميرًا، من أُمراءِ الفتنة قدم المدينة وكان قد ذهب بصر جابر، فقيل لجابر لو تنحيت عنه، فخرج يمشي بين ابنيه فانكبَّ*

- *وفي رواية:* فَنُكِبَ[1] فقال: تَعِسَ من أخافَ رسولَ اللهِ ﷺ، فقال ابناه –أو أحدهما- يا أبتاه! وكيف أخافَ رسولَ الله ﷺ وقد مات؟ فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:" من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جَنْبَيَّ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٢١٣) (الصحيحة: ٢٣٠٤) (صحيح الجامع: ٥٩٧٨)

- *ورواه ابن أبي شيبة بلفظ*" ومن أخاف أهلها فقد أخاف ما بين هذين " وأشار إلى ما بين جنبيه".

- *وأخرج الطبراني في الأوسط والكبير من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:*

" اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل منه صرفٌ ولا عدلٌ[2] ". (الصحيحة: ٣٥١) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٢١٤)

- *وأخرج النسائي والطبراني في الكبير والأوسط عن السائب بن خلاد الخزرجي الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:* " اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخِفْهُ، وعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين، لا يُقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٢١٥)

- *وفي رواية عند الإمام أحمد* " من أخاف أهل المدينة أخافه الله ﷻ وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .. لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا ".

---

١ - نُكب: أي أصابه حجر

٢ - الصرف: هو الفريضة، العدل: التطوع، قاله سفيان الثوري رحمه الله: وقيل: هو النافلة، والعدل: الفريضة، وقيل: الصرف: التوبة، والعدل: الفدية، قاله مكحول، وقيل: الصرف: الاكتساب، والعدل: الفدية، وقيل: الصرف: الوزن، والعدل: الكيل، وقيل غير ذلك.

١٥- المدينة منارة العلم:

فقد أخرج الإمامُ أحمدُ والترمذيُّ من حديث أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل، يطلبون العلم، فلا يجدون أحدًا أعلم من تعالم المدينة ".

قال الإمام الطيبي -رحمه الله-:

ضرب أكباد الإبل كناية عن السير السريع، لأن من أراد ذلك يركب الإبل، ويضرب أكبادها بالرِّجل، والمعني: قرب أن يأتي زمان يسير الناس سيرًا شديدًا إلى البلدان البعيدة يطلبون العلم فلا يجدون أحدًا -أي في العالم- أعلم من عالم المدينة. أهـ

١٦- المدينة في آخر الزمان مقصد ومأوى أهل الإيمان:

- فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" إن الإيمان ليَأرِزْ[1] إلى المدينة كما تأرِز الحيَّةُ إلى جُحْرِهَا ".

- وأخرج المرجاني في " أخبار المدينة" عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

" ليعودنَّ هذا الأمرُ إلى المدينة كما بدأ منها، حتى لا يكون إيمانٌ إلا بها ".

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله- في " فتح الباري: ٤/ ١٠٠ "

هذا الحديث فيه إشارة إلى الترغيب في سكنى المدينة ".

- وأخرج الحاكم والبيهقي في دلائل النبوة عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" يكون في أمتي خليفة يُحثي المال حثيًا، ولا يعده عدًا، ثم قال: والذي نفسي بيده ليعودن الأمر كما بدأ، ليعودن كُلُ إيمان إلى المدينة كما بدأ منها، حتى يكونَ كل إيمانٍ بالمدينة ".

أفاد القاضي عياض – رحمه الله-: إن الإيمان كان في بداية الأمر قوي والإسلام منتشر، لوجود النبي ﷺ وأصحابه الكرام، فكان الناس يقصدون المدينة، ولا يقصدها إلا من خلص إيمانه، وصح إسلامه، وهكذا سيكون في آخر الزمان فلا يأتيها إلا المؤمن النقي التقي.

تنبيهان: ١- ذهب الإمام مالك -رحمه الله- إلى أن المدينةَ في آخر الزمان سيكون الإسلامُ فيها غريبًا وقد نقل الإمام النووي- رحمه الله – في شرح مسلم: ١/٣٩٥" عن الإمام مالك أنه قال في شرح هذا الحديث **"بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ"** أي في المدينة، وأن الإسلام بدأ فيها غريبا، وسيعود اليها غريبا.

لكن هذا الكلام مردود على الإمام مالك- رحمه الله- بالحديث السابق **"إن الإيمان ليأرز الي المدينة كما تأرز الحية الي جحرها ".**

وأيضًا ثبت في صحيح مسلم من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال:

" إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها ".

---

١ - يأرز: من أرزت الحية، أي: لاذت بجحرها ورجعت إليه، وقال الأصمعي: يأرز: أي ينضم إليها ويجتمع بعضه إلى بعض فيها، والمعني أن أهل الأيمان يجتمعون في المدينة، وقوله "حجرها" أي سكنها. (انظر فيض القدير: ٢/٣٢٤)

- ***وفي رواية عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:***

" إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبي للغرباء إذا فسد الناسُ، والذي نفسي بيده إن الإيمان ليأرزُ إلى المدينة كما تأرزُ الحيَّةُ إلى جُحْرِهَا ".

وقد علق القاضي –رحمه الله– على قول النبي ﷺ **" بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا "** أن ظاهر الحديث العموم، أي أن هذا ليس خاص بالمدينة كما ذهب الإمام مالك، ولكن الإسلام بدأ في أحاد من الناس وقلة، ثم انتشروا وظهروا، ثم سيلحقه النقص والإخلال حتى لا يبقي إلا في أحاد وقلة أيضا كما بدأ.

٢- ورد في بعض الأحاديث الصحيحة أن الناس سيتركون سكن المدينة في آخر الزمان:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **محدثًا عن المدينة:**

" لَيَتْرُكَنَّهَا أهلُها على خير ما كانت مُذَلَّلَةً للعَوَافِي" – يعني السباع والطير–.

فمتي هذا الزمان، وكيف يمكن الجمع بين هذا الحديث وبين ما قبله من الأحاديث والتي تبين أن المدينة في آخر الزمان هي أصل ومنبع ومأوى الإيمان؟ **والجواب عن هذا يرجع إلى احتمالين:**

الاحتمال الأول: أن ترك المدينة وخرابها في آخر الزمان بسبب نزول الخلافة في أرض الشام وتحول الناس إليها. ***ويدل على هذا ما أخرجه الإمام أحمد من حديث سلمة بن نفيل ﷺ في حديث له طويل وفيه أن النبي ﷺ قال:*** **" ألا إن عقر دار المؤمنين الشام ... ".**

وفي رواية عند الإمام أحمد وأبي داود عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إن فسطاط[١] المسلمين يوم الملحمة بالغوطة[٢] إلى جانب مدينة يقول لها دمشق من خير مدائن الشام ".**

وهذا الاحتمال ضعيف، لأن الملحمة تكون قبل مجيء الدجال، ومن المعلوم أن الدجال عندما يخرج يحاول دخول المدينة وتمنعه الملائكة، والمدينة في هذا الحين عامرة بأهلها، ثم ترجف بأهلها فتنفي خبثها، وترميه إلى الدجال، فلا يبقي فيها إلا المؤمنون المخلصون، ثم يهاجر كثير منهم إلى بيت المقدس ببلاد الشام، حيث إمامهم المهدي، ثم نزول عيسى –عليه السلام– ومن بقي من المؤمنين في المدينة، فإنها تقبض روحهم الريحُ اللطيفة الباردة، وبموتهم تخرب المدينة ولا يكون فيها أحد، بخلاف غيرها من البلدان، فتبقي عامرة بشرارها، وعليهم تقوم الساعة. (انظر التذكرة صـ ٦٨٩)

وهذا الكلام يقوي الاحتمال الثاني وهو: أن هجران المدينة وخرابها سيكون في آخر الزمان عند قيام الساعة ***ويدل على هذا ما رواه البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال:*** **" يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي (يريد عوافي السباع والطير) ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان[٣] بغنمهما فيجِدَانِها وحْشًا[٤] حتى إذا بلغا ثنيَّة الوداع خَرَّا على وجوههما[٥] ".**

---

١ - الفسطاط في الأصل الخيمة، ثم استعمل في الحصن والملجأ، والمقصود هنا موقع المسلمين، ومكان اجتماعهم يوم الملحمة، أي المعركة الكبرى بين المسلمين والنصارى، والمقصود بالملحمة: المقتلة العظمي.

٢ - الغوطة: هي اليوم تسمي غوطة دمشق، ودمشق مدينة معروفة، وهي عاصمة سوريا اليوم.

٣- ينعقان: أي يصيحان

٤ - وحشا: قيل معناه يجدانها خلاء، أي خالية ليس بها أحد، قال إبراهيم الحربي: الوحش من الأرض هو الخلاء، والصحيح أن معناه يجدانها ذات وحوش، ويكون وحشًا بمعني وحوشًا، وأصل الوحش كل شيء توحش من الحيوان، وجمعه وحوش وقد يعبر بواحدة عن جميعه، كما في غيره.

٥ - خرا على وجوههما: أي سقطا ميتين، وذلك عند نفخة الصور الأولي

١٧- النبي ﷺ يشفع لمن يموت بالمدينة:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها " (صحيح الجامع: ٦٠١٥)

- وفي رواية ابن ماجه: **" من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل، فإني أشهد لمن مات بها ".**

وأخرج الطبراني في الكبير عن امرأةٍ يتيمةٍ كانت عند رسول الله ﷺ من ثقيف أن رسول الله ﷺ قال:

" من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت، فإنه من مات بها كنت له شهيدًا، أو شفيعًا يوم القيامة ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١١٩٧)

وعند البيهقي بلفظ: **"من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فإنه من مات بالمدينة شفعت له يوم القيامة".** (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٩٣)

وأخرج ابن حبان في صحيحه عن الصُّمَيْتَةِ امرأة: من بني ليث بن بكر- رضي الله عنها: أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" من استطاع منكم ألا يموت إلا بالمدينة فليمت بها فإنه من يمت بها نشفع له، أو نشهد له ".** (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٩٤)

- وفي رواية للبيهقي أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت، فمن مات بالمدينة كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة ".** (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٩٥)

- وعند الطبراني في الكبير عن سُبَيْعَةَ الأسْلَمِيَّة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال:

" من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت، فإنه لا يموت بها أحد إلا كنت له شفيعًا، أو شهيدًا يوم القيامة ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٩٦)

- **وكان عمر ﷺ يدعو الله تعالى أن يموت بمدينة النبي ﷺ:**

فقد أخرج البخاري من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: **" اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك ".**

وقد أعطاه الله ما يرجو، فمات ﷺ بمدينة النبي ﷺ بل دفن بجواره.

١٨- النبي ﷺ يحب المدينة حبًا شديدًا:

فعندما دعا النبي ﷺ في الحديث السابق " اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت مكة ". فاستجاب الله دعاء نبيه، وزرقه حبها.

ويدل على هذه المحبة ما رواه البخاري عن أنس ﷺ: " أن النبي ﷺ كان إذا قَدِمَ من سفر فنظر إلى جُدُرَاتِ المدينة، أوضَعَ راحلته[١]، وإن كان على دابةٍ حَرَّكها من حُبها ".

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث حُميد الساعدي ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك– وساق الحديث – وفيه: ثم أقبلنا، حتى قدمنا وادي القرى ، فقال رسول الله ﷺ: إني مسرع، فمن شاء منكم فليسرع معي، ومن شاء فليمكث ..... ". ***الحديث***

لو لم يكن من فضل المدينة إلا حب النبي ﷺ لها لكفي بهذا شرفًا وفضلًا.

١٩- النبي ﷺ يحب أهل المدينة ويثني عليهم:

أهل المدينة لهم شأن عظيم عند رب العالمين وعند المؤمنين، فهم أصحاب رسول اله ﷺ، آمنوا به، وآووه، ونصروه، وجاهدوا معه وبعده بأموالهم وأنفسهم، واتبعوه، وقد امتدحهم الله ﷻ وأثني عليهم، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ[٢] وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر: ٩)

- **النبي ﷺ يحب العيش معهم:**

- فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" لو أن الأنصار سلكوا واديًا أو شعبًا[٣]، لسلكت في وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ".

- **حب الأنصار إيمانٌ وبغضهم نفاقٌ:**

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" الأنصارُ لا يحبهم إلا مؤمنٌ، ولا يبغضهم إلا منافقٌ، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله ".

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

" آيةُ[٤] الإيمان حبُّ الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار ".

- **الأنصار أحبُّ الناس إلى رسول الله ﷺ**

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس ﷺ قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبي لها فكلمها رسول الله ﷺ فقال: والذي نفسي بيده، إنكم أحب الناس إلي "مرتين".

---

١ - أوضع راحلته: أي حملها على سرعة السير (النهاية لابن الأثير: ١٩٦/٥)
٢ - الخَصَاصة: بالفتح: الحاجة والفقرُ وسوء الحال، مأخوذة من خصاصِ البيت، وهي الفُرَجُ التي تكون فيه، لأن الشيء إذا انفرج وَهَي واختل.
٣ - الشعب: بالكسر: الطريق في الجبل، والجمع شعاب
٤ - الآية: العلامة، والجمع آياتٌ، وآيٌ، وآيَايٌ، وآياءٌ جمعُ الجمعِ، نادرٌ.

- **الأنصار خاصّة النبي ﷺ:**

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس ﷺ قال: **صعد رسول الله ﷺ المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم- فحمد الله، وأثني عليه، ثم قال: " أوصيكم بالأنصار، فإنهم كَرِشِي[1]، وَعَيْبَتِي[2]، وقد قضوا الذي عليهم[3]، وبقي الذي لهم فأقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم[4] ".**

وحذر رسول الله ﷺ من التعرض لأهل المدينة بأذى حتى أخبر ﷺ أن من هم بإيذائهم فإنه يكون معرضًا نفسه لانتقام الله منه.

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص، أو ذوب الملح في الماء ".

وفي رواية عند الإمام أحمد **" من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا ".**

- وعند الإمام أحمد أيضًا **" من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي ".**

- **بشري لأهل المدينة:**

كل من سكن المدينة وأصبح من أهلها، متمسكا بشرع الله تعالى، سائرًا على هدي رسول الله ﷺ فإنه يناله من فضل خيار أهل المدينة بقدر تمسكه بدينه.

قال الله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة:١٠٠)

٢٠- جعل الله قلوب العباد تهوي إلى المدينة ببركة دعوة النبي ﷺ:

فقد أخرج الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد والبزار من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: **سمعت رسول الله ﷺ على المنبر وقد نظر نحو اليمن فقال:" اللهم أقبل بقلوبهم" ونظر إلى الشام فقال:" اللهم أقبل بقلوبهم"، ونظر إلى العراق، فقال مثل ذلك، ونظر قبل كل أفق فقال مثل ذلك، وقال:**

" اللهم ارزقنا من ثمرات الأرض، وبارك لنا في مُدِّنا وصاعنا". (حسنه الهيثمي -رحمه الله-)

ووجه مناسبة الدعاء بالبركة في صالح المدينة ومدها بعد الدعاء بإقبال قلوب أهل الأفاق المذكورة أن أهل المدينة مازالوا في شدة من العيش وقلة من الزاد، فلما دعا النبي ﷺ بأن يقبل بقلوب أهل الأفاق إلى دار الهجرة دعا الله بالبركة في طعام أهل المدنية ليتسع للساكن بها والقادم عليها، فلا يسأم المقيم من القادم عليه، ولا تشق الإقامة على الوافد إليها. (تحفة الأحوذي للمباركفوري: ٣٧٧/٤)

---

١ - كرشي أي: بطانتي وخاصَّتي الذين أثق بهم، وأعتمدهم في أموري، ضرب المثل بالكرش، لأنه مستقر غذاء الحيوان الذي يكون به بقاؤه.
٢ - العَيْبَة: بالفتح: وعاء يحفظ فيه الرجل نفيس ثيابه وفاخر متاعه، والجمع عَيْباتٌ، وعِيبٌ، وعِياب، وعيبه الرجل: موضع سره وأمانته على المثل.
٣ - وقد قَضَوا الذي عليهم: يشير ﷺ إلى ما وقع لهم ليلة العقبة من المبايعة، فإنهم بايعوه على أن يؤوه وينصروه على أن لهم الجنة، فوفوا بذلك.
٤ - تجاوزوا عن مسيئهم: أغضوا واعفوا.

٢١- المدينة مهجر النبي ﷺ وفيها عاش حتى لقي الله ﷻ:

فقد أخرج ابن أبي خيثمة عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:

" المدينة مُهَاجَري، ومضجعي، فيها بيتي، وحقٌ على أمتي حفظ جِيراني ".

- **لما دخل النبي ﷺ أضاء منها كل شيء، ولما مات أظلم منها كل شيء**

يقول أنس ﷺ كما في مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي:

لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء من المدينة كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ أظلم من المدينة كل شيء، وما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا.

٢٢- في المدينة دفن النبي ﷺ:

لو لم يكن لها من الفضل الا هذا لكفي بها شرفًا وفضلًا:

فقد أخرج أبو يعلى بسند فيه مقال عن عائشة –رضي الله عنها- قالت:

" لما اختلفوا في دفن النبي ﷺ حين قُبض قال أبو بكر ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يُقبض النبيُّ إلا في أحب الأمكنة إليه " فقال:" ادفنوه حيث قبض ".

وعند الترمذي بلفظ: سمعت من رسول الله ﷺ شيئا ما نسيته، قال: ما قبض الله نبيًا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه " ادفنوه في موضع فراشه.

- وأخرج الترمذي في الشمائل والنسائي في الكبرى والطبراني والبيهقي في الدلائل عن سالم بن عبيد- وكانت له صحبه- ذكر قصة موت النبي ﷺ وفيها قول الصحابة لأبي بكر ﷺ:

" يا صاحبَ رسولِ الله: أيدفنُ رسولُ الله ﷺ؟ قال: نعمْ، قالوا: أين؟ قال: في المكان الذي قبض اللهُ فيه رُوحه، فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب. فعلموا أن قد صدق ..... ".

فوائد وتنبيهات عند زيارة قبر النبي ﷺ[1]

١- إن زائر المدينة النبوية لا يمكنه الوصول إلى قبر النبي ﷺ وزيارته كسائر القبور، لأن النبي ﷺ دُفِنَ في بيته، في حجرة عائشة- رضي الله عنها-، وقد أحيط قبرهُ بعدةِ جدران، فلا يتأتى لأحد مباشرة الوقوف أمام قبره كسائر المقبورين.

وهذا من حفظ الله- تعالى- لقبر نبيه ﷺ من أن يفعل عنده مالا يرضاه من البدع والشركيات، ولعل هذا أيضًا من إجابة الله تعالى دعوة نبيه ﷺ كما في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " **اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد** ". (صححه أحمد شاكر)

فلا يمكن لأهل البدع ولا لغيرهم الوصول إلى قبره ﷺ، ولا يقدر أحد أن يتخذه عيدًا، ولا وثنًا، ولا مسجدًا، ولله الحمد والمنة، وقد كان الصحابة ﷺ يمتنعون من ذلك مع قدرتهم عليه، لعلمهم بتحريمه، والذين جاءوا من بعد الصحابة منعوا من ذلك. (انظر قاعدة عظيمة ص ٨٦، ٨٧، ١٠١)

فدفن النبي ﷺ في بيته وعدم إبراز قبره كان بسبب الخوف من أفعال الجهلاء وأهل البدع، الذين يشابهون من يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، بالصلاة عندها، والدعاء عندها، والتمسح بها، والطواف حولها، ونحو ذلك من الأفعال التي لعن أصحابها.

وقد أخرج البخاري من حديث عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: **" لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " لولا ذلك أُبرز قبرهُ، غير أنه خشي أو خُشِيَ أن يُتخذ مسجدًا "** ***– وفي رواية*** **" يُحذر ما صنعوا ".**

٢- أن النبي ﷺ أمر أمته أن يصلوا عليه ويسلموا حيثما كانوا، وأخبر أن ذلك يبلغه، فيدعي له بالصلاة والسلام في جميع الأوطان، وفي أحوال كثيرة، كعند الأذان، وفي كل صلاة، وعند دخول كل مسجد، والخروج منه، وهذا لقلو قدره ﷺ، وارتفاع درجته، فقد خصه الله تعالى من الفضيلة بما لم يشركه فيه غيره، فليست الصلاة عليه والسلام مقصورًا على المجيء إلى قبره، بل إن ذلك يصل إليه من البعيد، كما يصل إليه من القريب، ***ويدل عليه ما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا تجعلوا بيوتكم قبورًا، وحيثما كنتم فصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني ".**

- وأخرج الإمام أحمد والنسائي من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" إن لله في الأرض ملائكة سياحين، يبلغوني من أمتي السلام ".

- وأخرج الإمام أحمد وأبو داود عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:

" ما من أحد يسلم علي، إلا رد الله ﷻ إليّ روحي حتى أرد عليه السلام ".

١- فضل المدينة وآداب الزيارة للدكتور / سليمان الغصن- بتصرف واختصار

فالنبي ﷺ يرد السلام على القريب، ويبلغ الصلاة والسلام من البعيد، وتبليغه الصلاة والسلام عليه من البعيد ومن كل مكان هو من خصائصه ﷺ.

ولهذا لا يشرع السفر لمجرد زيارة قبره ﷺ والسلام عليه، لأن السلام عليه ممكن وحاصل تبليغه إياه من أي مكان، ولقوله ﷺ: "**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**". (رواه البخاري ومسلم)

فهذا نص في النهي عن التعبد والتقرب إلى الله تعالى بالسفر إلى موضع غير المساجد الثلاثة المذكورة، فلا حاجة إلى السفر إلى قبر النبي ﷺ لمجرد السلام عليه لحصول المقصود من تبليغه الصلاة والسلام دون الذهاب إليه.

كما لا يشرع تحميل السلام لمن يبلغه للرسول ﷺ بعد موته، لما سبق من أن الصلاة والسلام يبلغه من كل أحد، ومن أي مكان، ولأن في التوصية بتبليغه السلام تنقصًا لمقام المصطفي ﷺ، وجعلًا له كسائر الأموات الذين لا يبلغهم السلام من البعيد.

كما أن الظن بأن الصلاة والسلام لا يتم إلا بالسفر إلى قبره المكرم ﷺ، فيه تغافل عن صريح الأحاديث الدالة على ما أكرم الله تعالى به نبيه من تبليغه الصلاة والسلام، وأن الله تعالى يصلي على من يصلي ويسلم على نبيه ﷺ.

ومما يحسن التنبيه إليه أن جميع ما ورد من الأحاديث في فضل زيارة قبر النبي ﷺ كلها غير صحيحه، فهي إما شديدة الضعف، وإما موضوعة ومن ذلك ما يلي:

أ – حديث:" من زار قبري وجبت له شفاعتي" (رواه الدارقطني وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري وهو ضعيف)

ب – حديث " من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي "

(رواه الطبراني في الكبير والدارقطني وهو ضعيف)

جـ – حديث " من حج البيت فلم يزرني فقد جفاني " (رواه ابن عدي في الكامل وهو موضوع)

د – حديث " من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد دخل الجنة " (موضوع)

٣– على من أتي للسلام على النبي ﷺ عند قبره المكرم مراعاة آداب المكان والسلام، ومن ذلك أن يبدأ بعد دخوله المسجد بصلاة تحية المسجد ثم يذهب للسلام، ويستقبل القبر، ويستدبر القبلة ويسلم على النبي ﷺ وعلى صاحبيه، وعلى أن يبتعد عن المزاحمة، وإطالة الوقوف، وعن الهيئات المبتدعة فيه كتغميض العينين، وجعل اليدين على الصدر كهيئة الواقف للصلاة، كما عليه أن يغض صوته، ويبتعد عن اللغط، ورفع الصوت. وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات:٢)

وأخرج البخاري عن السائب بن يزيد قال: **كنت قائمًا في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فأتني بهذين فجئته بهما، فقال: من أنتما؟ أو من أين أنتما؟ قالا من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ "**

وقال ابن كثير عند تفسيره: ٧/٣٣٥ عند الآية السابقة: " قال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته ﷺ، لأنه محترم حيًا وفي قبره ﷺ، دائمًا "

وإذا أراد الدعاء فإنه يبتعد عن القبر ويذهب ويستقبل القبلة ويدعو الله –تعالى-.

٤- لم يكن من هدي الصحابة ﷺأن يأتوا القبر للسلام على رسول الله ﷺ كلما دخلوا مسجده، بل كانوا يدخلون المسجد فيصلون فيه ويسلمون على النبي ﷺ، ولا يأتون القبر، لأن السلام حاصل في ذكر دخول المسجد وهو قول:" **بسم الله، والسلام على رسول الله، اللهم أغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ".**

فالسلام على الرسول ﷺ عند دخول المسجد، يغني عن السلام عليه عند القبر، وهو من خصائصه، كما أن الصلاة عليه والسلام يحصل في دعاء التشهد في الصلاة أيضًا، ويبلغه دون حاجة للذهاب إلى قبره.

والمقصود أن الصحابة ﷺ لم يكونوا يأتون القبر كلما دخلوا المسجد، وإنما جاء عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنه كان يأتي القبر للسلام على رسول الله وصاحبيه إذا قدم من سفر(رواه الإمام مالك في الموطأ) وقد نقل القاضي عياض عن الإمام مالك قوله: "وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر، وإنما ذلك للغرباء". (الشفا: ٢/٦٧٥)

٥- يجب على الزائر أن يحذر مما يفعله الجهال وأهل البدع في مسجد النبي ﷺ من التمسح بالمحراب، أو المنبر، أو السواري، أو الأبواب، أو التمسح بالأسوار، والشبابيك المحيطة بالحجرة التي دفن فيها الرسول ﷺ، أو تقبيلها، أو محاولة الطواف بها، أو وضع الأوراق المشتملة على الدعوات، والوصايا، أو تحري الصلاة، أو الدعاء هناك، أو استقبال القبر حال الدعاء، ونحو ذلك من البدع المنكرة التي حذر منها النبي ﷺ ولعن فاعلي أمثالها، وهو في مرض موته، ***كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال:*** **" لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: " لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " يحذر ما صنعوا".**

- وفي صحيح مسلم من حديث جندب ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول:

" ..... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك ".

فلا يجوز تحري دعاء الله تعالى قريبًا من القبر، كما لا يجوز استقباله عند ذلك، لأنه لم يثبت بخصوص ذلك دليل. وقد نقل القاضي عياض عن الإمام مالك قوله: " لا أري أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو، ولكن يسلم ويمضي " (الشفا: ٢/٦٧١)

بل جاءت الأدلة الشرعية بالتحذير من ذلك، كما سبق، لما فيه من مشابهة اليهود والنصارى، ولأنه ذريعة إلى عبادة غير الله تعالى، ولا سيما إذا كان بدعاء مبتدع، كالدعوات المشتملة على توسلات بجاه النبي ﷺ، أو حقه، أو نحو ذلك مما لم يفعله الصحابة الكرام ﷺ، ولم يؤثر عن سلف الأمة، ويزداد هذا الفعل شناعة حينما يتوجه بالسؤال لرسول الله ﷺ بأن يشفع له، وأقبح من ذلك وأشنع حينما يدعو رسول الله ﷺ ويسأله ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى كطلب مغفرة الذنوب، وتفريج الكروب، ودخول الجنة، والنجاة من النار، أو طلب الشفاء، أو النصر على الأعداء، أو الرزق أو الولد ونحو ذلك، فإن ذلك من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله تعالى، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ (النساء:٤٨) وهو موجب للخلود في النار والعياذ بالله لأن في ذلك مساواة له في أفعاله المختصة به، وفي الحديث **أن الرسول ﷺ سئل أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: " أن تجعل لله ندًا وهو خلقك "** (رواه البخاري)

والنبي ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا من دون الله تعالى فكيف يملك لغيره، كما قال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ﴾ (الأعراف:١٨٨) وقال: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (سورة الجن:٢١)

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: **قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء:٢١٤) قال:" يا معشر قريش: أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئًا ".**

فإذا أراد الشخص أن يسأل فليسأل ربه ﷻ، وليخلص دعاءه وعبادته لله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (الأعراف:٢٩) وقال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر:٦٠)، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن:١٨)، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (الأحقاف:٥-٦).

وفي الحديث الذي أخرجه الترمذي أن الحبيب النبي ﷺ قال: **" إذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله** "وأما ما يظنه البعض من فضيلة مجيئ أصحاب الحوائج والمذنبين، إلى قبر النبي ﷺ، وطلب الاستغفار منه، مستدلين بقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (النساء:٦٤) فهذا غير صحيح، لأن الآية نزلت في قوم من أهل النفاق في

حياة النبي ﷺ، توجيهًا لهم، لما ظلموا أنفسهم، حينما تركوا طاعة النبي ﷺ، وتحاكموا إلى غيره، بأن يأتوا الرسول ﷺ، ويظهروا التوبة والندم على ما فعلوه، ويستغفروا منه، فيستغفر لهم الرسول ﷺ، فتحصل لهم التوبة من الله التواب الرحيم.

فالاستغفار من الرسول ﷺ لأولئك المذنبين إنما كان في حياته، وأما بعد موته فإن ذلك غير ممكن، وغير مشروع، وقد قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها لما قالت: وا رأساه! " ذلك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك " (رواه البخاري) ولو كان طلب الاستغفار منه بعد موته مشروعًا لوجه إليه النبي ﷺ، ورغب فيه، ولكان مجيء كل واحد من أمته بعد كل ظلم ومعصية صغيرة كانت أو كبيرة إلى قبره ﷺ والاستغفار عنده قربة مطلوبة، وللزم أن تكون الأمة كلها ساعية إلى المجيء إلى قبره على الدوام، لتكرار الذنوب والعصيان "

(انظر صيانة الإنسان ص٢٣-٤١)

ومعلوم أن هذا لم يقل به أحد من المسلمين، ولم يفعله الصحابة خير القرون-وهم أحرص الناس على متابعة الرسول ﷺ والاقتداء بهدية، فلم ينقل عن أحد منهم أنه جاء القبر المكرم طالبًا استغفار الرسول ﷺ، وكانت تنزل بهم المصائب والكروب، ولم يكونوا يأتون قبره ﷺ متوسلين ولا داعين طالبين، لعلمهم بأن ذلك انقطع بموته ﷺ، وأن حياته في قبره حياة برزخية، ليست مثل حياة الدنيا، فحياته تشبهها حياة الشهداء الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران:١٦٩)، وإن كانت حياة نبينا ﷺ أكمل وأتم، ولكن أحكامها ليست مثل أحكام الدنيا، ولو كانت مثلها لاستمرت إمامته للمسلمين، وحجه بهم، وقتاله معهم، ومشاورته لهم ونحو ذلك، فالصحابة رضي الله عنهم يعلمون أن النبي ﷺ بعد موته لا يدعي، ولا يسأل، ولا تطلب منه الشفاعة، ولا يتوسل به ***كما جاء عن أنس*** ﷺ: " **أن عمر بن الخطاب** ﷺ **كان إذا أقحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا** ﷺ **فتسقينا، وإنَّا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون** " (رواه البخاري)

ولو كانت حال النبي ﷺ بعد موته في قبره كحاله في حياته لتوسلوا به، ولما طلبوا من العباس أن يدعوا لهم بنزول المطر، فلما لم يتوسلوا بالنبي ﷺ دل على علمهم بحرمة ذلك وامتناعه.

٦- الرسول ﷺ لم يدفن في المسجد وإنما دفن في حجرة عائشة -رضي الله عنها-، وكانت حجرتها خارج المسجد، ولما وسع المسجد في عهد الوليد بن عبد الملك أدْخلَ حجرةَ عائشة -رضي الله عنها- في المسجد للضرورة، وكانت مغلقة لا يمكن أحد من الدخول إلى قبر النبي ﷺ، ولا لصلاة عنده، ولا لدعاء، ولا غير ذلك، وقد بنوا على الحجرة حائطًا، وسنموه، وحرفوه لئلا يصلي أحد إلى قبره الكريم ﷺ، ويتخذه وثنًا، وهذا من إجابة دعوة الله تعالى لنبيه ﷺ من أن يتخذ قبره وثنًا كما اتخذ قبر غيره

(انظر الجواب الباهر: ٢٧/٣٢٣-٣٢٩ ضمن مجموع الفتاوي)

بعض الأماكن والمعالم التي في المدينة وبيان فضلها

أولًا: مسجد النبي ﷺ:

وكان بناء هذا المسجد بعدما قدم النبي ﷺ إلى المدينة مهاجرًا من مكة.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قدم النبي ﷺ المدينة فنزل أعلى المدينة في حي يقال لهم "بنو عمرو بن عوف"، فأقام النبي ﷺ فيهم أربعَ عشرةَ ليلةً، ثم أرسل إلى بني النجار فجاؤوا متقلدي السيوف، كأني أنظر إلى النبي ﷺ على راحلته، وأبو بكر ردفه، وملأ بني النجار حوله، حتى ألقى بفناء أبي أيوب، وكان يحب أن يصلي حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مرابض الغنم، وأنه أمر ببناء المسجد، فأرسل إلى ملأ من بني النجار فقال: "يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا"، قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، فقال أنس: فكان فيه ما أقول لكم: قبور المشركين، وفيه خَرِبٌ، وفيه نخل، فأمر النبي ﷺ بقبور المشركين فنشبت، ثم بالخرب فسويت، وبالنخل فقطع، فصفوا النخل قِبْلَةَ المسجد، وجعلوا عِضَادَتَيْهِ الحجارة، وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون والنبي ﷺ معهم، وهو يقول: اللهم لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة".

ومسجد النبي- صلى الله عليه وسلم- له فضائل كثيرة ومنها:

١- مسجد النبي -صلى الله عليه وسلم- أسس على التقوى:

قال تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ (التوبة: ١٠٨)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه، فقلت: يا رسول الله! أي المسجدين الذي أُسِّسَ على التقوى؟ قال: فأخذ كفا من حَصَباءَ، فَضَرَبَ به الأرضَ ثمَّ قال: " هو مسجدكم هذا[1] (لمسجد المدينة) ".

وأخرج الترمذي والنسائي من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: تَمَارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال الآخر: هو مسجد الرسول ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: " هو مسجدي هذا ".

- ***وأخرج ابن حبان من حديث سهل بن سعد ﷺ قال:*** أختلف رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى، فقال أحدهما: هو مسجد المدينة، وقال الأخر: هو مسجد قباء، فأتوا رسول الله ﷺ فقال: "هو مسجدي هذا". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٧٧)

---

١ - هو مسجدكم هذا: هذا نص بأنه المسجد الذي أسس على التقوى المذكور في القرآن، وأما أخذه ﷺ الحصباء وضربه في الأرض، فالمراد به المبالغة في الإيضاح، لبيان أنه مسجد المدينة، والحصباء الحصى الصغار.

٢- هو من جملة المساجد الثلاثة التي يُشد إليها الرِّحَال:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد[١]: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى".

- ***وعند مسلم بلفظ:*** " إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيلياء[٢] "

- ***وفي سنن النسائي عن أبي هريرة ﷺ قال:*** " لقيت بَصْرَة بن أبي بصرة الغفاري ﷺ فقال: من أين جئت؟ قلت: من الطور، قال: لو لقيتك من قبل أن تأتيه لم تأته، قلت له: ولم؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:" لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس ".

- ***أخرج الإمام أحمد والطبراني عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:***

" خيرُ ما ركبتْ إليه الرَّواحِلُ مسجدُ إبراهيمَ ﷺ، ومسجدي ".

- ***وذكره ابن خزيمة في صحيحه بلفظ:*** " مسجدي هذا، والبيت المعمور ".

- ***وذكره ابن حبان بلفظ:*** " إن خير ما ركبت إليه الرواحل مسجدي هذا، والبيت العتيق ".

(الصحيحة: ١٦٤٨) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٢٠٦)

- ***وأخرج البزار عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:*** " أنا خاتم الأنبياء، ومسجدي خاتم مساجد الأنبياء، أحق المساجد أن يزار وتشد إليه الرواحل: المسجد الحرام، ومسجدي، وصلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٧٥)

قال الحافظ -رحمه الله-: وقد صح من غير ما طريق أن النبي ﷺ قال:

" لا تشد الرواحل إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى ".

٣- من ذهب إلى مسجد النبي ﷺ عالمًا أو متعلمًا فله أجر المجاهد في سبيل الله:

- ***فقد أخرج الإمام أحمد وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:***

" من جاء مسجدي هذا، لم يأته إلا لخير يتعلمه، أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك، فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره ". (صحيح الجامع: ٦١٨٤)

- ***وفي رواية:*** من دخل مسجدنا هذا يتعلم خيرًا أو يعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله، ومن دخله لغير ذلك كان كالناظر إلى ما ليس له "

٤- منبر النبي -صلى الله عليه وسلم- على ترعة من ترع الجنة:

فقد أخرج الإمام أحمد والبيهقي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" منبري على تُرْعَةٍ من تُرَعِ الجنة ". (صحيح الجامع: ٦٦٢١)

---

١ - لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: هكذا وقع في صحيح مسلم هنا: ومسجد الحرام ومسجد الأقصى، وهو من إضافة الموصوف إلى صفته، وقد أجازه النحويون الكوفيون، وتأوله البصريون على أن فيه محذوفًا تقديره: مسجد المكان الحرام، والمكان الأقصى، ومنه قوله تعالى: (وما كنت بجانب الغربي) أي المكان الغربي، ونظائره .

٢ - إيلياء: مسجد إيلياء هو بيت المقدس .

٥- ما بين بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- ومنبره روضةٌ من رياض الجنَّة:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن زيد المازِنِيِّ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

" ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنة ".

– وفي رواية لمسلم: **" ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة ".**

– وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

" ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي[١] ".

قال الحافظ ابن حجر–رحمه الله– كما في" فتح الباري: ٤/١٠٠": وفي الحديث إشارة إلى الترغيب في سكنى المدينة. وقوله: "**روضة من رياض الجنة**" أي: في نزول الرحمة، وحصول السعادة بما يحصل من العبادة فيها المؤدية إلى الجنة، أو المراد روضة حقيقة بأن ينتقل ذلك الموضع بعينة في الآخرة إلى الجنة. أهـ

وقال النووي–رحمه الله– كما في" شرحه على مسلم: ٩/١٦١": ذكروا في معناه قولين: أحدهما: أن ذلك الموضع بعينه ينقل إلى الجنة، والثاني: أن العبادة فيه تؤدي إلى الجنة. أهـ

وهذا ما قرره القاضي عياض– رحمه الله –حيث قال في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفي ﷺ: ٢/٩٢ " : وقوله "**روضة من رياض الجنة**" يحتمل معنيين: أحدهما: أنه موجب لذلك، وأن الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب، كما قال: "**الجنة تحت ظلال السيوف** "والثاني: أن تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها (قاله الداوودي) ". أهـ

والحاصل من كلام أهل العلم أن معنى هذا الحديث يحتمل ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن هذا المكان يشبه روضات الجنات في حصول السعادة والطمأنينة لمن يجلس فيه.

الوجه الثاني: أن العبادة في هذا المكان سبب لدخول الجنة. (اختاره ابن حزم في المحلى: ٧/٢٨٤)

الوجه الثالث:" أن البقعة التي بين المنبر وبيت النبي ﷺ ستكون بذاتها في الأخرة روضة من رياض الجنة"

فائدتان:

١– كان النبي ﷺ يتحرى الصلاة في موضع معين من الروضة:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث يزيد بن أبي عبيد قال: **كنت آتي مع سلمة بن الأكوع ﷺ فيصلي عند الأسطوانة التي عند المصحف[٢]، فقلت: يا أبا مسلم، أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة، قال: فإني رأيت رسول الله ﷺ يتحرى الصلاة عندها.**

٢– وحَدّ الروضة الشريفة: من بيته ﷺ شرقًا إلى منبره الذي كان يخطب عليه[٣] غربًا، ومن الحاجز النحاس الذي عليه أرفف المصاحف جنوبًا إلى نهاية الأسطوانات البيضاء شمالًا.

---

١ - ومنبري على حوضي: قال القاضي: قال أكثر العلماء: المراد منبره بعينه، الذي كان في الدنيا، قال: وهذا هو الظاهر

٢ - قال الحافظ ابن حجر رحمه الله كما في فتح الباري: ١/٥٧٧: هذا دال على أنه كان للمصحف موضع خاص به، ووقع عند مسلم بلفظ: يصل وراء الصندوق، وكأنه كان للمصحف صندوق يوضع فيه.

٣ - احترق منبر النبي ﷺ في الحريق الذي شب في المسجد النبوي عام ٦٥٤هـ والمنبر الموجود الأن ليس منبر رسول الله ﷺ.

٦- الصلاة في مسجد النبي ﷺ أفضل من ألف صلاة فيما سواه:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ يبلُغ به النبي ﷺ قال:

" صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ".

وفي رواية: **" صلاةٌ في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام ".**

- وأخرج الإمام مسلم من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال:

" صلاةٌ في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ".

- وأخرج الإمام مسلم من حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- قال:

" إِنَّ امْرَأَةً اشْتَكَتْ شَكْوَى، فَقَالَت: إِنْ شَفَانِي اللَّهُ لَأَخْرُجَنَّ، فَلَأُصَلِّيَنَّ فِي بَيْتِ الْمَقْدِس، فَبرَأَتْ، ثُمَّ تَجَهَّزَتْ تُرِيدُ الْخُرُوجَ، فَجَاءَتْ مَيْمُونَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، تُسَلِّمُ عَلَيْهَا فَأَخْبَرَتْهَا ذَلِكَ، فَقَالَت: اجْلِسِي فَكُلِي مَا صَنَعْتِ، وَصَلِّي فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: " صَلَاةٌ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا مَسْجِدَ الْكَعْبَةِ ".

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه من حديث جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

" صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألفِ صلاةٍ فيما سواهُ إلا المسجد الحرام، وصلاةٌ في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه ". (صححه الألباني في صحيح ابن ماجه وفي أرواء الغليل:٤/٣٤١)

قال ابن بطال – رحمه الله-: هذا الحديث فيه دليل على الحض والندب على قصد المسجد النبوي والصلاة فيه. (شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٤/٥٥٧)

- ومن بنا الحديث الذي أخرجه البزار عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ: **" أنا خاتم الأنبياء، ومسجدي خاتم مساجد الأنبياء، أحق المساجد أن يزار وتشد إليه الرواحل: المسجد الحرام، ومسجدي، وصلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام ".**

(صحيح الترغيب والترهيب: ١١٧٥)

تنبيهات وفوائد[1]:

١- التضعيفَ الواردَ في الحديثِ ليس مُختصًّا في البقعة التي هي المسجد في زمانه ﷺ، بل لَها ولكلِّ ما أُضيفَ إلى المسجدِ من زياداتٍ، ويَدلُّ على ذلك أنَّ الخليفَتَيْن الرَّاشدَين عمر وعثمان -رضي الله عنهما- زادا المسجد من الجهةِ الأماميَّة، ومِن المعلومِ أنَّ الإمامَ والصفوفَ التي تلِيه في الزيادة خارجُ المسجد الذي كان في زمنه ﷺ، فلولا أنَّ الزيادةَ لَها حكمُ المزيد لَما زاد هذان الخليفتان المسجدَ من الجهةِ الأمامية، وقد كان الصحابةُ في وقتِهما متوافِرين ولَم يعترِض أحدٌ على فِعلِهما، وهو واضحُ الدِّلالةِ على أنَّ التضعيفَ ليس خاصًّا بالبُقعةِ التي كانت هي المسجد في زمنِه.

١- أفادها فضيلة الشيخ/ عبد المحسن بن حمد العباد البدر-حفظه الله-

٢- التضعيف لأجر الصلاة فيه بأكثر من ألف ليس مقيدًا بالفرض دون النفل، ولا بالنفل دون الفرض، بل لهما جميعًا، لإطلاق قوله ﷺ: "**صلاة**" فالفريضةُ بألف فريضةٍ، والنافلةُ بألف نافلةٍ.

٣- في المسجد بقعةٌ وصفها رسول الله ﷺ بأنها روضةٌ من رياض الجنة، ***وذلك في قوله*** ﷺ " **ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة** " (رواه البخاري ومسلم) وتخصيصها بهذا الوصف دون غيرها من المساجد يدل على فضلها وتميزها، وذلك يكون بأداء النوافل فيها، وكذا ذكر الله وقراءةُ القرآن فيها إذا لم يحصل إضرارٌ بأحد فيها أو في الوصول إليها، أما صلاة الفريضةِ فإن أداءَها في الصفوفِ الأمامية أفضلُ، لقوله ﷺ: " **خيرُ صفوفِ الرجال أولُها وشرُّها آخرُها** " (رواه مسلم) وقوله ﷺ: " **لو يعلمُ الناسُ ما في النداء والصفِّ الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه** ". (رواه البخاري ومسلم)

٤- إذا امتلأ المسجدُ النبويُّ بالمصلين، فلمن جاء متأخرًا أن يصلي في الشوارع بصلاة الإمام في الجهات الثلاث غير الجهة الأمامية، ويكون له أجر صلاة الجماعة، أما التضعيف بأكثر من ألف فإنه خاص بمن كانت صلاته في المسجد، لقول النبي ﷺ: " **صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه إلا المسجد الحرام** "، ومن صلي في الشوارع لم يكن مصليًا في مسجده، فلا يحصل له هذا التضعيف.

٥- شاع عند كثير من الناس أن من قدم إلى المدينة فعليه أن يصلي أربعين صلاة في مسجد الرسول ﷺ ***لحديث في " مسند الإمام أحمد " عن أنس*** رضي الله عنه ***عن النبي*** ﷺ ***أنه قال:*** " **من صلي في مسجدي أربعين صلاة لا تفوتُه صلاةٌ كتبت له براءةٌ من النار ونجاة من العذاب وبرئ من النفاق** " وهو حديث ضعيف لا تقوم به الحجة، بل الأمر في ذلك واسع، وليس من قدم المدينة ملزمًا بصلوات معينة في مسجده ﷺ بل كل صلاة فيه خير من ألف صلاة، دون تحديد أو تقييد بصلوات معينة.

٦- ابتلي كثيرٌ من المسلمين في كثيرٍ من الأقطارِ الإسلامية ببناء المساجد على القبور، أو دفن الموتى في المساجد، وقد يتشبث بعضُهم لتسويغ ذلك بوجود قبره ﷺ في مسجده، ويُجاب عن هذه الشُّبهة بأن النبي ﷺ هو الذي بني المسجد أول قدومه المدينة، وبني بيوته التي تسكنها أمهات المؤمنين بجوار مسجده، ومنها بيت عائشة الذي دفن فيه ﷺ وبقيت هذه البيوت كما هي خارج المسجد في زمن الخلفاء الراشدين- رضي الله عنهم- وزمن معاوية رضي الله عنه وزمن خلفاء آخرين بعده، وفي أثناء خلافة بني أمية وُسِّع المسجدُ وأدخل بيتُ عائشةَ الذي قُبِرَ فيه ﷺ في المسجد، وقد جاء عن النبي ﷺ أحاديث محكمة لا تقبل النسخ تدل على تحريم اتخاذ القبور مساجد، ***منها حديث جندب بن عبدالله البجلي*** رضي الله عنه ***الذي سمعه من رسول الله*** ﷺ ***قبل وفاته بخمس ليالٍ قال فيه: سمعت رسول الله*** ﷺ ***قبل أن يموت بخمس وهو يقول:***

" **إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك** ". (رواه مسلم في صحيحه)

بل إن النبي ﷺ لما نزل به الموت حذر من اتخاذ القبور مساجد

كما في الصحيحين: عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالا: **لما نُزِلَ برسول الله ﷺ طفق يطرحُ خميصةً على وجهه، فإذا اغتمَّ كشفها عن وجهه، فقال – وهو كذلك–: " لعنةُ الله على اليهودِ والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " يحذر ما صنعوا "**

فهذه الأحاديثُ عن عائشة وابن عباس وجندب– رضي الله عنهم– مُحكمةٌ لا تقبل النسخ بحال من الأحوال، لأن حديث جندب في آخر أيامه، وحديثي عائشة وابن عباس في آخر لحظاته ﷺ فلا يجوز لأحد من المسلمين أفراد أو جماعات ترك ما دلت عليه هذه الأحاديث الصحيحة المحكمة، والتعويل على عمل حصل في أثناء عهد بني أمية، وهو إدخال القبر في مسجده ﷺ فيستدلُّ بذلك على جواز بناء المساجد على القبور أو دفن الموتى في المساجد.

٧– آداب زيارة مسجد النبي ﷺ:

إن لزيارة مسجد نبينا محمد ﷺ آدابًا يُمكن أن نوجزها في الأمور التالية:

أ– إذا وصل الزائر إلى مسجد نبينا ﷺ دخل بقدمه اليُمني (كما يدخل أي مسجد) قائلًا: **بسم الله، اللهم صل على محمد، اللهم افتح لي أبواب رحمتك.**

ب – يصلي الزائر ركعتين تحية المسجد، ويدعو فيهما بما شاء من الخير له وللمسلمين.

جـ – يذهب الزائر بعد ذلك لزيارة قبر النبي ﷺ، وهنا تنهمر الدموع، ويشتد النحيب، وينتفض الوجدان، فالكل كان في شوق جارف وحنين عارم لزيارته، وها هو الآن يقف أمام قبره لزيارته.

د – يقف الزائر تجاه قبر النبي ﷺ بأدب، مع خفض صوته قائلًا: السلام عليك يا رسول الله ورحمته وبركاته، أشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة، ونصحب الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده، فجزاك الله تعالى عنا أفضل ما جزى نبيًا عن أمته.

هـ – لا يجوز لأحد أن يتمسح بالحجرة النبوية، ولا يقبلها، ولا يطوف حولها، لأن ذلك لم يثبت عن أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولو كان ذلك مشروعًا لسبقونا إليه.

و – لا يجوز لأحد أن يطلب من النبي ﷺ أن يقضي له حاجته، أو يفرج كربته، أو يشفي مريضه، أو نحو ذلك، لأن هذا لا يطلب إلا من الله تعالى وحده، وطلب ذلك من الأموات شرك بالله تعالى.

ز– لا يجوز للزائر أن يتعمد الدعاء عند قبر النبي ﷺ مستقبلًا القبر ورافعًا يديه، لأن هذا لم يفعله أحد من سلفنا الصالح.

حـ – لا يجوز للزائر (أثناء السلام على النبي ﷺ) أن يضع يده اليمني على شماله فوق صدره، أو تحته كهيئة المصلي، لأنها صفة ذل وخضوع وعبادة، لا تكون إلا لله تعالى وحده.

ط – يتجه الزائر بعد زيارة قبر النبي ﷺ إلى جهة اليمين قليلًا، فيسلم على أبي بكر الصديق، ويدعو له، ثم يتجه نحو اليمين قليلًا، فيسلم على عمر بن الخطاب، ويدعو له، ثم ينصرف.

(التحقيق، لابن باز، ص٥١–٥٩) (وحجة النبي للألباني: ص١٣٦–١٤٦)

ثانياً: مسجد قباء:

ومسجد قباء هو أول مسجد بُني في الإسلام عندما وصل النبي ﷺ إلى قباء مهاجرًا من مكة وقد شارك النبي ﷺ في بناءه. ومسجد قباء يقع في الجنوب الغربي للمدينة، ويبعد عن المسجد النبوي قرابة خمسة كيلومترات.

وكان النبي ﷺ يقصده بين الحين والآخر ليصلي فيه، وكان يأتيه تارة راكبا، وتارة ماشيًا فيصلي فيه ركعتين

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – قال:

كان النبي ﷺ يزورُ قُبَاء، أو يأتي قُباء راكبًا وماشيًا. *زاد في رواية:* فيصلي فيه ركعتين".

***وفي رواية للبخاري والنسائي:* أن رسول الله ﷺ كان يأتي مسجد قُباءٍ كلَّ سبتٍ راكبًا وماشيًا، فيصلي فيه ركعتين وكان عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما – يفعله ".**

- **والصلاة في مسجد قُباء تعدل أجر عُمرة**

- فقد أخرج الترمذي من حديث أُسيد بن ظهير الأنصاري[1] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" صلاةٌ في مسجد قُبَاء كَعُمْرةٍ ". (صحيح الجامع: ٣٨٧٢)

- وأخرج الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" من تطهر في بيته، ثم أتى مسجد قباء، فصل فيه صلاة[2] كان له كأجر عمرة ". (صحيح الجامع: ٦١٥٤)

- *وأخرج ابن حبان عن ابن عمر-رضي الله عنهما-* أنه شهد جنازة بالأوساط في دار سعد بن عبادة فأقبل ماشيًا الى بنى عمرو بن عوف بفناء الحارث بن الخزرج، فقيل له: أين تؤم[3] يا أبا عبد الرحمن ؟ قال: أؤم هذا المسجد في بنى عمرو بن عوف – يقصد مسجد قباء – فإني سمعت رسول الله ﷺ: يقول: من صلى فيه كان كعدل عمرة ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٨٤)

- *وأخرج الحاكم من حديث عامر بن سعد، وعائشة بنت سعد – رضي الله عنهما – أنهما سمعا أباهما ﷺ يقول:* لأن أصلي في مسجد قباء أحب إلى من أن أصلي في مسجد بيت المقدس ". (صحيح موقوف)

(صحيح الترغيب والترهيب: ١١٨٣)

تنبيه: يتكلف زائر المدينة بالذهاب إلى مساجد لم يثبت بخصوص زيارتها أجر ولا فضيلة كمسجد الإجابة، أو القبلتين، أو المساجد السبعة أو غيرها، فلم تثبت مشروعية الزيارة إلا للمسجد النبوي ومسجد قباء فقط لما فيهما من الفضل والأجر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- في كتابه" اقتضاء الصراط المستقيم:٢/٣٤٤":

وليس بالمدينة مسجد يشرع إتيانه إلا مسجد قباء، وأما سائر المساجد فلها حكم المساجد، ولم يخصها النبي ﷺ بإتيان، ولهذا كان الفقهاء من أهل المدينة لا يقصدون شيئًا من تلك الأماكن إلا قباء خاصة "

- وجاء في كتاب البدع لابن وضاح ص٩١: أن الإمام مالك وغيره من علماء المدينة كانوا يكرهون إتيان تلك المساجد التي بالمدينة ما عدا قباء. أهـ

١- قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله - ولا نعرف لأُسيد بن ظهير حديثا صحيحا غير هذا. والله أعلم

٢- فصلى فيه صلاة: يشمل الفرض والنفل

٣- تؤم: تقصد

ثالثًا: جبل أُحُد:

وجبل أحد يقع شمال المدينة، ويبعد عن المسجد النبوي خمسة ونصف كيلومتر، وطوله ستة كيلومترات، وارتفاعه ثلاثمائة وخمسين مترا، وهو جبل عظيم له مكانة عند النبي ﷺ وعند المؤمنين.

وهو الجبل الذي وقعت عنده معركة أحد في السنة الثالثة من الهجرة ويوجد بجانبه قبور الشهداء الذين استشهدوا في تلك المعركة ومنهم حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وجبل أحد له مكانه عند النبي ﷺ.

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي حميد ﷺ قال: **" خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وساق الحديث وفيه: ثم أقبلنا حتى قدما وادي القرى[1] فقال رسول الله ﷺ:" إني مسرعٌ فمن شاء منكم فليُسرع معي، ومن شاء فليمكث فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة فقال: هذه طابة، وهذا أُحُد وهو جبل يحبُّنا ونحبُّه".**

- وأخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إن أُحُدًا جبلٌ يحبُّنا ونحبُّه " -**

وفي رواية: **نظر رسول الله ﷺ إلى أُحُد فقال: " أُحُد جبل يحبنُّا ونحبُّه ".**

(رواه البخاري من حديث سهل بن سعد ﷺ)

- وأخرج البخاري ومسلم واللفظ له من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي طلحة:

" التمس لي غلامًا من غلمانكم يخدمُني " فخرج أبو طلحة يردفني وراءه فكنت أخدم رسول الله ﷺ كلما نزل قال: ثم أقبل حتى إذا بدا له أُحُدٌ قال: هذا جبل يحبنا ونحبه، فلما أشرف على المدينة قال: " اللهم إني أحرم ما بين جبليها مثل ما حرم إبراهيم مكة " ثم قال: اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم ".

- وفي رواية في الصحيحين أيضًا عن أنس ﷺ قال: **خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر أخدمه، فلما قدم النبي ﷺ راجعًا، وبدا له أُحُدٌ قال: هذا جبل يحبُّنا ونحبُّه ".**

قال الخطابي – رحمه الله–: وفي قوله **" هذا جبل يحبنا ونحبه "**: أراد به أهل المدينة وسكانها، كما قال تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ (يوسف:٨٢) أي أهل القرية.

وقال البغوي – رحمه الله–:

والأولي إجراؤه على ظاهره " ولا ينكر وصف الجمادات بحب الأنبياء والأولياء، وأهل الطاعة، كما حنت الأسطوانة (جذع النخلة) على مفارقته ﷺ، حتى سمع حنينها إلى أن سكنها، وكما أخبر أن حجرًا كان يسلم عليه قبل الوحي، فلا ينكر عليه، ويكون جبل أُحُد، وجميع أجزاء المدينة تحبه، وتحن إلى لقائه حاله مفارقته إياها.

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله–:

وهذا الذي قاله البغوي حسن جيد، والله أعلم.

---

١ - وادي القرى: هو واد بين المدينة والشام، وهو بين تيماء وخيبر، من أعمال المدينة، سمي وادي القري لأن الوادي من أوله إلي آخره قري منظومة، لكنها الآن كلها خراب، ومياهها جارية تتدفق ضائعة لا ينتفع بها أحد، فتحها النبي ﷺ بعد فراغه من فتح خيبر سنة سبع. أه من معجم البلدان.

رابعاً: البقيع:

وهو مقبرة المدينة تقع شرقي المسجد النبوي، دفن فيها كثير من الصحابة والصحابيات رضي الله عنهم أجمعين، ودُفنتْ فيه أمهاتُ المؤمنين وبناته- رضي الله عنهنَّ-، ومن أجلِّ الصحابة المدفونين به: الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ، وكان النبي ﷺ يخرج من الليل إلى البقيع فيستغفر لأهل البقيع ويدعو لهم .

فعن عائشةَ- رضي الله عنها- قالت: **كان رسول الله ﷺ كلما كانت ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج في آخر الليل إلى البقيع فيقول: "السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا وإياكم متواعدون غدًا أو مواكلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد ".**

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والبيهقي عن طلحة بن عبيد الله ﷺ قال: **خرجنا مع رسول الله ﷺ يريد قبور الشهداء، حتى إذا أشرفنا على حرة وَاقِم[1]، فلما تدلينا منها وإذا قبور بمَحْنِيَة[2] قال: قلنا: يا رسول الله، أقبور إخواننا هذه ؟ قال: " قبور أصحابنا "، فلما جئنا قبورا الشهداء قال: "هذه قبور إخواننا ".**

تنبيهات تتعلق بزيارة البقيع وشهداء أحد[3]:

١- ينبغي لزائر البقيع وشهداء أحد أن يستحضر معاني الزيارة وحكمها، وأن المقصود بها تذكر الآخرة، والإحسان إلى المزور بالدعاء له، والترحم عليه، والاستغفار له، وسؤال العافية له، فيكون الزائر محسنًا إلى نفسه وإلى الميت. (أنظر إغاثة اللهفان: ٢٢٥/١)

كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة والتي سبق ذكر بعضها، وعليه أن يبتعد عن إظهار الجزع والتسخط ورفع الصوت بالدعاء والنحيب والبكاء.

٢- يحرم اتخاذ القبور مساجد، أي بأن تكون محلًا للعبادة كالمسجد، وذلك بالصلاة عندها، كما يحرم تحري الدعاء والقراءة عندها، أو التمسح بها، أو التبرك بتربتها أو الطواف بها والنذر لها، ويحرم إيقاد الشموع، أو رمي الحبوب عندها، وكذا وضع الرسائل المشتملة على الوصايا، والتوسلات، والدعوات وغير ذلك من البدع المحرمة التي هي من الشرك، أو من وسائل الشرك التي لعن أصحابها، وأخبر النبي ﷺ أنهم شرار الخلق.

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشةَ -رضي الله عنها- **أن أمَّ حبيبةَ وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة، فيها تصاوير، فذكرتا للنبي ﷺ فقال: إن أولئك إذا كان فيهم الرجلُ الصالحُ فمات بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة ".**

- وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث جندب بن عبدالله البجلي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: **" ..... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك ".**

---

١ - حرة واقم: هي الحرة الشرقية (انظر وفاء الوفاء للسمهودي: ١١٨٨/٤)
٢ - بمَحْنِيَة: المحنية: منحني الوادي منعرجة حيث ينعطف (ذكره الخطابي في غريب الحديث ١٤٤/١)
٣ - فضل المدينة وآداب الزيارة: للدكتور/ سليمان الغصن

ومن أعظم المنكرات المجاهرة بدعاء الأموات، وطلب الزائر منهم النصر، أو الرزق، أو الشفاعة، أو الولد، أو المدد، أو تفريج الكربات، أو مغفرة الذنوب أو دخول الجنة، والنجاة من النار ونحو ذلك من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله– تعالى– والتي يكون طلبها من غير الله – تعالى– شركًا أكبر مخرجًا من ملة الإسلام، ومحبطًا للأعمال والعياذ بالله **كما قال تعالى:** ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (الزمر: ٦٥-٦٦) **وقال تعالى:** ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (المائدة:٧٢)

رابعاً: جبل عَيْنَيْن، أو جبل الرماة:

هو جبل صغير بجانب مقبرة الشهداء، ويفصل بينهما وادي قناة، وهذا الجبل هو الذي وضع النبي ﷺ عليه خمسين راميا في معركة أحد.

خامساً: مقبرة شهداء أحد:

وتقع شمال المسجد النبوي على بعد خمسة كيلومترات عند قاعدة جبل أحد، وسميت بهذا الاسم لأنها تضم سبعين من الصحابة الذين استشهدوا في غزوة أُحُد ﷺ، ومنهم عَمّ النبي ﷺ حمزة بن عبد المطلب ﷺ أجمعين.

سادساً: عَيْر وثور:

وهما اسما جبلين من جبال المدينة، أولهما عظيم شامخ يقع جنوبي المدينة على بعد حوالي ثمانية كيلومترات، شرقي وادي العقيق قرب ذي الحليفة – آبار عليّ–، ويحد المدينة من جهة الجنوب، وثانيهما: جبل أحمر صغير يقع خلف جبل أُحُد من جهة الشمال كأنه ثور رابض، ورأسه متجه صوب الجنوب الغربي، وهو حد المدينة المنورة من الجهة الشمالية، وهذان الجبلان يحدان حرم المدينة جنوبًا وشمالًا **كما جاء في قول النبي ﷺ:** " المدينة حرم ما بين عَيْر إلى ثور". (رواه البخاري ومسلم)

سابعاً: جبل سلع:

جبل عظيم شامخ وهو أحد جبال المدينة المنورة، ويقع غربي المسجد النبوي على بعد خمسمائة متر أو اقل، ويبلغ طول الجبل ألف متر تقريبا، وارتفاعه ثمانين مترًا، ويمتد من الشمال إلى الجنوب، وتتفرع منه أجزاء في وسطه على شكل أجنحة قصيرة باتجاه الشرق والغرب، وقد كانت وقعة الخندق عنده حيث جعله النبي ﷺ خلف ظهره يحتمي به.

ثامناً وادي العقيق:

والعقيق: الوادي الذي شقه السيل قديمًا، وهو في بلاد العرب عدة مواضع منها العقيق الأعلى عند مدينة النبي ﷺ مما يلي الحرة إلى منتهي البقيع، ومنها العقيق الأسفل وهو أسفل من ذلك، ومنها العقيق الذي يجري ماؤه من غوري تهامة وأوسطه بحذاء ذات عرق، ووادي العقيق المبارك يمر بالمدينة من جهتها الغربية إلى الميقات

وقد كان النبي ﷺ يحب وادي العقيق:

فقد أخرج الطبراني أن الحبيب النبي ﷺ قال: **" إني أحب العقيق ".**

وكان النبي ﷺ يلبي بالحج منه:

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عمرَ بنِ الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ بوادي العقيق يقول: **" أتاني الليلة آتٍ من ربي فقال: صلِ في هذا الوادي المبارك، وقل: عُمْرةً في حَجَّةٍ ".**

- وعند ابن حزيمة بلفظ **" أتاني الليلة آت من ربي، وأنا بالعقيق: أن صل في هذا الوادي المبارك ".**

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٢/١)

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- **أن النبي ﷺ رؤي وهو في مُعَرّس[1] بذي الحليفة ببطن الوادي، فقيل له: إنك ببطحاء مباركة ".**

- وعند البزار من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال:

" أتاني الليلة آت من ربي، وأنا بالعقيق: أن صلِّ في هذا الوادي المبارك ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٢١٠)

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله-: وفي الحديث فضل العقيق كفضل المدينة، وفضل الصلاة فيه.

أما ما تُسن زيارته من هذه المعالم، فقد قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في فتاوي الحج:

" نحن ذكرنا أنه لا يُزار سوي هذه الخمسة التي هي: مسجد النبي ﷺ، وقبره، وقبر صاحبيه، وهذه القبور الثلاثة في مكان واحد، والبقيع وفيه قبر عثمان ﷺ، وشهداء أحد ﷺ وفيهم حمزة بن عبد المطلب ﷺ، ومسجد قباء، وما عدا ذلك فإنه لا يُزار، أما غيرها مما لم تذكر، فكل هذا لا أصل لزيارته، وزيارته بقصد التعبد لله تعالى بدعة، لأن ذلك لم يرد عن النبي ﷺ، ولا يجوز لأحد أن يثبت لزمان أو مكان أو عمل، أن فعله أو قصده قربة إلا بدليل من الشرع "

١- مُعَرّس: موضع النزول

كلمة إلى ساكني المدينة المنورة حفظها الله من كل سوء:

إلى كل مَنْ مَنَّ اللهُ عليه ووفقه أن يكون من ساكني المدينة فليحمدِ اللهَ على هذه النعمةِ الكبيرة، والمنحة العظيمة، وعليه أن يستشعر أن كثير من المسلمين يتمنوا الوصول إلى المدينة لقضاء أيام معدودة ولو أنفق كل ما يملك للوصول لهذه الأمنية لفعل.

وأنت يا أخي بغير كلفة ولا مشقة تستطيع الوصول إلى المسجد النبوي في أي وقت تريد فعليك بكثرة التردد عليه والصلاة فيه، فأنت في أمنية كثير من الناس.

ولا تغتر بكونك من سكان المدينة أنك على خير، حتى لو كان منك تقصير في حق رب العالمين، فهذا فهم مغلوط، فإن مجرد السكنى إذا لم يكن معها عمل صالح واستقامة على طاعة الله ورسوله وبُعد عن الذنوب والمعاصي فلا يفيد صاحبه بشيء بل هذا كله حجة عليه، والمكان لا يرفعه عند الله إن لم يرفعه عمله.

– **وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مالك أن سلمان الفارسي ﷺ قال:** " **إن الأرض لا تقدس أحدًا، وإنما يقدس الإنسان عمله** " وهذا الحديث ضعيف لكن المعني صحيح، **فالله تعالى يقول:** ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ (الحجرات:١٣)

وسكنى المدينة لم تنفع عبد الله بن أبي بن سلول ولا غيره من المنافقين أو الكافرين أو حتى عصاة الموحدين إذا لم يعفُ عنهم ربُّ العالمين، فلا ينفع الإنسان إلا عمله.

قال الصنعاني–رحمه الله– يذكر رحلته إلى طيبة وزيارة المدينة:

ومن بعد ما طفنا طوافَ وداعنا ... رحلنا لمغنى المصطفى ومصلاه

ووالله لو أن الأسنةَ أشرعت ... وقامت حروب دونه ما تركناه

ولو أننا على الروس دونه ... ومن دونه جفن العيون فرشناه

وتملك منا بالوصول رقابنا ... ويسلب منا كل شيء ملكناه

لكان يسيرًا في محبة أحمد ... وبالروح لو يشرى الوصال شرينا

ورب الورى لولا محمد لم نكن ... لطيبة نسعى والركاب شددناه

ولولاه ما اشتقنا العقيق ولا قبا ... ولولاه لم نهوى المدينة لولاه

هو القصد إن غنت بنجد حداتنا ... وإلا فما نجد وسلع أردناه

وما مكة والخيف قل لي ولا منى ... وما عرفات قبل شرع أراناه

به شرفت تلك الأماكن كلها ... وربك قد خص الحبيب وأعطاه

لمسجده سرنا وشدت رحالنا ... وبين يديه شوقنا قد كشفناه

قطعنا إليه كل بر ومهمه ... ولا شاغل إلا وعنا قطعناه

كذا عزمات السائرين لطيبة ... رعى الله عزمًا للحبيب عزمناه

وكم جبل جزنا ورمل وحاجز ... ولله كم وادٍ وشعب عبرناه
ترنحنا الأشواق نحو محمد ... فنسري ولا ندري بما قد سرينا ه
ولما بدا جزع العقيق رأيتنا ... نشاوى سكارى فارحين برؤياه
شممنا نسيمًا جاء من نحو طيبة ... فأهلًا وسهلًا يا نسيما شممناه
فقد ملئت منّا القلوب مسرة ... وأي سرور مثل ما قد سررناه
فوا عجباه كيف قرّت عيوننا؟! ... وقد أيقنت أن الحبيب أتيناه
ولقياه منا بَعدَ بُعدٍ تقاربت ... فو الله لا لقيا تعادل لقياه
وصلنا إليه واتصلنا بقربه ... فلله ما أحلى وصولًا وصلناه
وقفنا وسلمنا عليه وإنه ... ليسمعنا من غير شك فدينا ه
ورد علينا بالسلام سلامنا ... وقد زادنا فوق الذي قد بدأناه
كذا كان خلق المصطفى وصفاته ... بذلك في الكتب الصحاح عرفناه
وثم دعونا للأحبة كلهم ... فكم من حبيب بالدعاء خصصناه
وملنا لتسليم الإمامين عنده ... فإنهما حقًا هناك ضجيعاه
وكم قد مشينا في مكان به مشى ... وكم مدخل للهاشمي دخلناه
وآثاره فيها العيون تمتعت ... وقمنا وصلينا بحيث مصلاه
وكم قد نشرنا شوقنا لحبيبنا ... وكم من غليل في القلوب شفيناه
ومسجده فيه سجدنا لربنا ... فلله ما أعلى سجودًا سجدناه
بروضة قمنا فهاتيك جنة ... فيا فوز من فيها يصلي وبشراه
ومنبره الميمون منه بقية ... وقفنا عليها والفؤاد كررناه
كذلك مثل الجذع حنت قلوبنا ... إليه كما ود الحبيب وددناه
وزرنا قبا حبا لأحمد إذ مشى ... عسى قدمًا يخطو مقاما تخطاه
لنبعث يوم البعث تحت لوائه ... إذ الله من تلك الأماكن ناداه
وزرنا مزارات البقيع فليتنا ... هناك دفنا والممات رزقناه
وحمزة زرناه ومن كان حوله ... شهيدًا وأحدًا بالعيون شهدناه
ولما بلغنا من زيارة أحمد ... منانا حمدنا ربنا وشكرناه
ومن بعد هذا صاح بالبين صائح ... وقال ارحلوا يا ليتنا ما أطعناه
سمعنا له صوتًا بتشتيت شملنا ... فيا ما أمر الصوت حين سمعناه
وقمنا نؤم المصطفى لوداعه ... ولا دمع إلا للوداع صببناه
ولا صبر كيف الصبر عند فراقه ؟ ... وهيهات إن الصبر عنه صرفناه

أيصبر ذو عقل لفرقة أحمد؟! فلا والذي من قاب قوسين أدناه
فواحسرتاه من وداع محمد وأواه من يوم التفرق أواه
سأبكي عليه قدر جهدي بناظر من الشوق ما ترقى من الدمع غرباه
فيا وقت توديعي له ما أمره ووقت اللقا والله ما كان أحلاه
عسى الله يدنيني لأحمد ثانيًا فيا حبذا قرب الحبيب ومدناه
فيا رب فارزقني لمغناه عودة تضاعف لنا فيها الثواب وترضاه
رحلنا وخلفنا لديه قلوبنا فكم جسد من غير قلب قلبناه
ولما تركنا ربعه من ورائنا فلا ناظر إلا إليه رددناه
لنغنم منه نظرة بعد نظرة فلما أغبناه السرور أغبناه
فلا عيش يهنى مع فراق محمد أأفقد محبوبي وعيشي أهناه؟!
دعوني أمت شوقًا إليه وحرقة وخطوا على قبري بأني أهواه
فيا صاحبي هذي التي بي قد جرت وهذا الذي في حجنا قد عملناه

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة
وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.
هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيب
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

هذا الكتاب منشور في